جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم الأدب العربي

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات لغوية
لسانيات عربية

رقم: ع/7

إعداد الطالبة:
سمـــاتي نعيمـــة

يوم: 14/07/2021

الاستئناف البياني ودوره في توجيه المعاني
نماذج من القصص القرآني

لجنة المناقشة:

محمد خان	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
عمار ربيح	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
زينب مزاري	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية: 2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لا خيل عندي أهديها ولا مال فليسعف القول إن لم يسعف الحال

إلى الأعزين الأكرمين والدين الحبيبين وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

شجرة الحب النقي التي أظلتني غصونها صغيرة ويافعة وشابة،

إلى من أهداني إكسير الحياة إلى أمي سماتي عائشة وأبي

سماتي علي ، أهدي هذه الدراسة إلى أختي وصديقة دربي

سلامي حليمة السعدية ، وإلى أخي شقيق روحي وجناحي الأمين

المتين أخي عبد الكريم ، إلى كل فرد من أفراد أسرتي

شكر وعرفان

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله ومن اهتدى ...وبعد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

فإن كل شكر وتقدير أقدمه إلى أستاذي العزيز: الأستاذ الدكتور عمار ربيح الذي تكرم بقبوله الإشراف على رسالة الماستر خاصتي ، شكرا جزيلا أستاذي على صبرك وعلى سعة صدرك على لينك في نصحي.

والشكر موصول مني إلى كل الأساتذة الأفاضل ، الذين سيقيمون هذا العمل ، سائلة إياهم أن يقوموا اعوجاجه بما حباهم الله من مكنة علمية ومعرفية . ولا يفوتني أن أشكر كل فرد من أسرة قسم الآداب واللغة العربية ، والله ولي التوفيق .

الطالبة سماتي نعيمة

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وانّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم عبده ورسوله، أمّا بعد:

تعدّ الجملة العربية وحدة الدّرس النّحويّ، لذا اتّجه صوبها اهتمام النّحاة ومجمل جهودهم، فتناولوها بالدّراسة من عدّة جوانب، فاهتموا بتراكيبها وترتيب أجزائها، وإعرابها وإبراز أنواعها. ففرّقوا بين نوعيها: التي لها محل، والتي لا محلّ لها من الإعراب. إلاّ أنّ الأمر الملفت للانتباه أنّ القول في الجمل يكثر ويكاد لا ينتهي، ومع ذلك فإنّهم –أي النّحاة– غفلوا عن تبيان ما تحمله هذه الجمل من مقاصد ومعنى وأغراض، فاكتفوا بقولهم: هذه جملة لها محل، أو لا محلّ لها من الإعراب. فجاء هاهنا الدّرس البلاغي ليهتمّ بالكشف عن مواطن الضّعف والقوّة في الأقوال والتّعابير، وليهتمّ بما غُفل عنه. فكان للبلاغة الفضل الكبير في توضيح مقاصد المتكلّم من خلاله مقاله، هذا إذا كان القائل بسيطا فما بالك إذا كان القائل ذو الجلال والإكرام.

ومن جهود البلاغيّين مثلا إبرازهم لأهمية معرفة مواطن الفصل والوصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، واعتبروا إدراك ذلك من الأمور التي يحتاج دقة في الفهم، وبراعة في الإدراك، وسلامة في الرّبط بين الجمل التي يتلو بعضها بعضا. وهذا ما يصعب على الكثيرين، فيستعصي عليهم تحديد ما يجب أو يحسن فصله، وما يجب أو يحسن وصله، والاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال كما يطلق عليه المحدثون، أحد هذه المواطن. فقيل أنّه ما وقع جوابا عن سؤال مقدّر ولّدته الجملة الأولى،

ولما كان هذا اللون البلاغيّ في رفعته وسموه يتطلب اهتماما واعيا من طرف الدّارسين له من أجل استجلاء الحقائق والأسرار الباهرة الكامنة فيه، ونظرا لهذه الأهمية التي يتحلّى بها هذا الموضوع قرّرنا أن يكون محورا لدراستنا، فجاء بحثنا موسوما بـ: **الاستئناف البياني ودوره في توجيه المعاني «نماذج من القصص القرآني»**.

ولقد أنجزنا دراستنا هذه انطلاقا من إشكالية رئيسة مُفادها: **ما مدى فعالية الاستئناف البياني في تحديد وضبط وتوجيه معاني النّظم القرآني عامة والقصصي منه خاصة؟**. ومن أجل حلّ هذه الاشكالية حاولنا الإجابة عن طائفة من الأسئلة الجزيئة ومنها:

- ما هو مفهوم الاستئناف، وما هي أنواعه إن وجدت؟.
- إذا كان للاستئناف أنواع فما العلاقة بينها؟.
- كيف تجسّدت فكرة الاستئناف البياني في التّراث العربي؟.
- ماهي أهم مقاصد وأغراض الاستئناف البياني؟.

وقد تساءلنا كثيرا قبل بدء دراستنا، هل سنصل إلى مبتغانا من هذا البحث، باعتبارنا لا نملك من الزّاد ما يمكّننا من ناصية هذا الموضوع خاصة أنّه مرتبط بالقرآن الكريم وتفاسير، ناهيك عن الخوف من إطلاق شيء لا يليق بالقرآن، غير أنّ اطلاعنا الكبير بعد ذلك على ما جاء في الكتب عن هذا الموضوع، وشغفنا الشّديد بأسلوب الاستئناف ورغبتنا في سبر أغواره –وهذا كان أهمّ أسباب اخيارنا لهذا الموضوع–، وجزمنا بأن للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد دفعنا إلى الخوض فيه.

ولقد فرضت علنا طبيعة الموضوع تبني المنهج الوصفي كون الأكثر تماشيا والدراسة، مع الاستعانة بآليتي التحليل والتفسير عن طرح مواطن الاستئناف البياني وشرحها، ولقد لجأنا إلى المنهج التاريخي أيضا حين محاولة البحث عن مفهوم الاستئناف عند الأقدمين من العرب.

ومن أجل إتمام هذه الدّراسة على أتّم صورة، ارتأينا أن يقسّم بحثنا إلى فصلين تصّرهما مقدمة يتبعها تمهيد، وتتلوهما خاتمة، وتوضيح ذلك كالآتي:

بدأنا هذه الدّراسة بتمهيد سبق الفصل الأوّل، حاولنا من خلاله تقديم عرض بسيط يساعد قارئ هذه على البحث أخذ فكرة عامة ومبسطة عن الاستئناف البياني، فبيّنا أنّه يندرج ضمن مبحث الفصل والوصل أحد أبواب علم المعاني.

خصّص الفصل الأوّل لبيان معالم الاستئناف البياني وعنون بـ: الاستئناف البياني، الماهية والمفهوم. وقسّم إلى ثلاث مباحث، أوّلها: مفهوم الاستئناف وأنواع، وفيه مطلبان: الأوّل يتضمّن التعريف اللغوي والاصطلاحي للاستئناف عامة. والمطلب الثّاني فيه تبيان وشرح لنوعي الاستئناف (النّحوي والبياني) مع التّمثيل لكلّ منهما. والمبحث الثّاني: تمّ الحديث فيه عن فكرة الاستئناف وكيفية تبلورها عند بعض العلماء العرب القدامى. أمّا المبحث الثّالث فوسم بـ: أضرب الاستئناف البياني وأغراضه، وهنا تمّ فيه تحديد الأضرب الثلاث للاستئناف البياني-في المطلب الأوّل- والتي استخرجت من بطون كتب البلاغة العربية، إضافة إحصاء جملة من المقاصد والأغراض التي يتمّ التّعرف عليها استنادا إلى السياق، وهذا كان في المطلب الثّاني.

أمّا الفصل الثّاني فكان بعنوان: دراسة تطبيقية للاستئناف البياني في نماذج من القصص القرآني، وهو بدوره مقسّم إلى مبحثين، أولها يتحدّث عن القصص القرآني من حيث تعريفه، أقسامه، وأهداف كلّ في مطلب. وأمّا المبحث القّاني ففضّلنا أن يخصّص للجانب التطبيقي؛ حيث تمّ فيه تحديد مواضع الاستئناف البياني في نماذج محدّدة من القصص القرآني، وذلك بالاعتماد على كتب التّفسير القرآني، ويجب الإشارة إلى أنّ هذا الموضع ليس موضع إحصاء وحصر، وإنما سيقت فيه نماذج محدودة على سبيل المثال فقط.

وأسدل ستار البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي تمّ التّوصل إليها، مردفة بملحق للقرآن والأحاديث والأشعار الواردة في البحث، وبعدها قائمة للمصادر والمراجع.

وتبقى هذه الدّراسة كغيرها من الدّراسات التي لا تتمّ دون اصطدامها بمجموعة من الصعوبات، وممّا واجهنا هاهنا من عوائق موضوعية نذكر مثلا: جدة الموضوع وندرة الدراسات السابقة الخاصة بالاستئناف البياني، ناهيك عن التّعامل مع مدوّنة مقدّسة وهي كتاب الله عزّ وجلّ، أمّا الصّعوبات الذّاتية فتتعلّق بإصابتنا **بفيروس كونا كوفيد 19** في الفترة التي كانا نشتغل فيها على الجانب التطبيقي، الأمر الذي أدّى إلى إسقاط بعض العناصر، فحال ذلك دون إنجاز البحث كما خطّط له قبل.

وما دام موضوع الاستئناف البياني في القصص القرآني شديد الارتباط بكل من علم النّحو والبلاغة والتّفسير، فقد حتّم علينا الاتكاء على مجموعة من المصادر القديم منها والحديث، المنتمية لهذه الأفنان الثلاث ومن أهمّها:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بالدّرجة الأولى، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الثعالبي للألوسي شهاب الدين، الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبو زيد الثعالبي، تفسير البحر المحيط لأبو حيّان الأندلسي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، تفسير التحرير والتنوير للطّاهر بن عاشور، من أسرار الجمل الاستئنافية لأيمن عبد الرزّاق الشّوا، دلائل الاعجاز للجرجاني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، الكتاب لسيبويه، مفتاح العلوم لسّكاكي، المبرّد للمقتضب، إعراب القرآن الكريم محمود سليمان ياقوت.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نتقدم بجزيل الشكر، وجميل الثناء ووافر التقدير إلى من أشرف على بحثنا هذا إلى: **الأستاذ عمّار ربيح**، الذي أولانا رعاية صادقة، وتوجيهاً سديداً، وعاملنا بأخلاق علمية عالية، فلقد كان له الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث، وكان له الأثر البيّن في اختيارنا لموضوعه، فله منّا فائق التقدير والاحترام، ونسأل الله السّداد والتّوفيق، وبه نستعين وهو نعم المعين.

تمهید

تمهيد:

إنّ البلاغة "هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يخاطب به، مع فصاحة مفرداته وجمله، وإصابته مواقع الاقتناع من العقل، والتأثير من القلب"[1]، وهي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النّفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون، وهي فن يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري، ودقة إدراك الجمال، وتبيين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب[2]، لذا تعدّ أهمّ علوم العربية قاطبة؛ لأنّ من خلالها يتمّ الكشف عن مدى فصاحة المتكلّم، وحسن تأديته للمعاني، ناهيك عن الكشف عن قدرته على مراعات المقامات التي تستدعي لونا معينا من القول.

يجب الإشارة إلى أنّ للبلاغة عناصرَ ذكرها عبد الرّحمن بن حسن الميدانيّ في كتابه: البلاغة العربيّة، فذكر أنّها تتمثّل في سِتّة عناصر هي: الأول: الحرص على الإتيان بالقواعد النّحويّة والصّرفيّة على أكمل وجه مع حُسن اختيار المفردات الفصيحة لها، والثّاني: الابتعاد عن الخطأ في إيراد المعنى، والثّالث: الابتعاد عن أيّ تعقيد لفظيّ أو معنويّ لا يُوصل إلى المعنى المقصود، والرّابع: حُسن اختيار المفردات التي تحمل حِسّاً وجمالاً، والخامس: انتقاء الجميل من المقاصد والمعاني وترجمتها من خلال ألفاظ تحمل طابعاً جماليّاً، والسّادس: تدعيم الكلام من خلال استخدام المحسّنات البديعيّة التي تُزيّنه وتجذب المتلّقي[3]. وكل هذا لا يصار إليه إلا من خلال أفنان البلاغة العربية ثلاث: علم المعاني، وعلم البديع وعلم البيان. وإذا كان علم البيان هو علم "يستطاع

---

[1]- الخطيب القزويني (جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمان، ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة-مصر، ط1، 2016م، ص5.

[2]- علي الجارم، البلاغة الواضحة البيان. المعاني. البديع، دار المعارف، دب، دط، 1998م، ص8.

[3]- ينظر: الميداني (عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، ت 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1996م، 131/1-132.

بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح مع مطابقة كلّ منها لمقتضى الحال"[1]، ومن أركانه التّشبيه والمجاز

والاستعارة والكناية. وإذا كان علم البديع يعتني بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة وهي نوعان لفظية ومعنوية. فإنّ علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام –الصّادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة- في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره[2] وهو يدور حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كل عنصر منها في اللسان العربي، ومواقع ذكره وحذفه، وتقديمه وتأخيره، ومواقع التعريف والتنكير، والإطلاق والتقييد، والتأكيد وعدمه، ومواقع القصر وعدمه، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقل منه، أو زائدا عليه، وحول اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كل منهما ومقتضياته[3].

ومنه يمكن القول أنّ علم المعاني يتناول صميم الأسلوب العربي و طرقه المختلفة في إيصال المراد إلى المتلقي، ولا يخفى عنّا أنّ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ هو المؤسس لعلم المعاني، وكان ذلك في القرن الخامس هجري (5هـ) عند وضعه لنظريّة علم المعاني في كتابه دلائل الإعجاز

1- أحمد أمين الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان والبديع، مؤسّسة النّشر الإسلامي، دب، ط1، دت، 181.

2- السّكاكي (سراج الملة والدين أبو يعقوب، ت 626هـ)، مفتاح العلوم، ضب: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م.161.

3- ينظر: الميداني، البلاغة العربية، 140/1.

تمهيد:

الفصل و الوصل من أهم موضوعات البلاغة وهو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والاهتداء إلى كيفية ايقاع حروف العطف في مواضعها، أو تركها عند الحاجة إلى ذلك، لهذا اهتم البلاغيون بهذا الموضوع وجعلوه حداً للبلاغة.

يقول أبو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين الذي خصّص فيه فصلا كاملا بعنوان: في ذكر المقاطع والقل في الفصل والوصل. للحديث عن الفصل والوصل يقول: "إنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواطن الفصل والوصل، كانت كآلي بلا نظام"[1].

يقول الدّارسون أنّ عبد القاهر الجرجاني يعدّ أوّل من أبان أسرار الفصل والوصل، وكشف أغواره، في كتابه دلائل الإعجاز. فنجده يقول: "اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وممّا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلاَّ الأَعْرابُ الخلص، وإلاَّ قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأُوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد"[2]؛ أي أنّ الفصل والوصل لا يخوض فيه أي باحث، أو دارس وإنما هو باب يتطلَّبُ العلم الوفير بفني: النحو والبلاغة. وقد جاء عن بعضهم أنّ الجرجاني سئل عنها فقال: معرفة الوصل من الفصل وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه[3].

1- أبو هلال العسكري (الحسين بن عبد الله بن سهل، ت 395هـ)، الصّناعتين، تح: علي محمّد البجاوي محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الحياة للكتب العربية، ط1، 1952م، ص438.

2- الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، ت 471هـ)، دلائل الاعجاز، تح: محمّد رضوان الدّاية، فايز الدّاية، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2007م، ص152.

3- الخطيب القزويني (جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمان الشافعي، ت 739هـ)، التّلخيص في علوم البلاغة، شر: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2009م. ص175.

تمهيد:

إذن يمكن عدّ موضوع الفصل والوصل من أصعب مبحث يَكن أن يدرس في البلاغة بصفة عامّة، وفي علم المعاني بصفة خاصّة، لأنّه يتطلّب براعةً في التَّركيب، وسلامة في الألفاظ، وعذوبة، وسهولة، وسلاسةً بالفطرة.

والنّاظر في هذا الباب يجد أنّ لكلّ من الفصل والوصل مواضع هي، ومواضع الوصل ثلاث هي:

1- الاتّفاق بين الجملتين في الخبرية أو الإنشائية.

2- اشراك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي للجملة الأولى.

2- كمال الانقطاع مع الإيهام خلاف المقصود.

ومواضع الفصل خمس وهي:

1- أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، بأن تكون الثانية بدلًا من الأولى.

2- أن يكون بين الجملتين تباين تام، بأن يختلفا خبرًا وإنشاء.

3- أن يقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام مانع.

4- أن تسبق جملة بجملتين، يصح عطفها على إحداهما؛ لوجود المناسبة، وفي عطفها على الأخرى فساد، فيترك العطف؛ دفعًا للوهم.

5- كون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة الأولى[1]. وهو شبه كمال الاتصال أو الاستئناف البياني وهو ما سنتناوله بالدّرس في هذا المقام.

[1]- ينظر: السفرجلاني (محمّد أمين بن محمّد بن خليل، ت 1916م)، القطوف الدّانية في العلوم الثّمانية، مطبعة ولاية سوريا، دمشق- سوريا، 1893م، 196.

الفصل الأول

الاستئناف البياني الماهية والمفهوم

المبحث الأول: الاستئناف وأنواعه:

المطلب الأول: مفهوم الاستئنـــاف:

1 ـ في اللغة: كلمة الاستئناف مأخوذة من المصدر الثلاثي (أنف)، و" أنْف كلّ شيء: أوّله (...) والاستئناف: الابتداء، وكذلك الائتناف، وقلت كذا آنفا وسالفا"[1].

وجاء في مقاييس ابن فارس أنّ:" الهمزة والنّون والفاء أصلان منهما ما يتفرّع مسائل الباب كلّها: أحدهما أخذ الشّيء من أوّله، والثّاني أنْف كلّ ذي أنْف وقياسه التّحديد. فأمّا الأصل الأوّل فقال الخليل: إستأنفت كذا، أي رجعت الى أوله، وائْتَنَفْت ائْتِنَافًا ومُؤْتَنَف الأمر: ما يُبْتَدَأُ فيه. ومن هذا الباب قولهم: فعل كذا آنفا، كأنّه ابتداؤه"[2].

قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ**﴾[3]؛

أي ماذا قال لكم قبل قليل؟.

ولم يذهب ابن منظور إلى خلاف ما ذهب إليه غيره من اللغويين في تعريفهم للاستئناف؛ إذ قال في لسانه: واستأنفَ الشّيء وأتَنَفَه: أخذ أوّله وابتدأه، وقيل: استقبله. وأنا آتَنِفُه

1- الجوهري (اسماعيل بن حمادة، ت393هـ)، الصّحاح تاج اللغة وصّحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م، 4/1332-1333، مادة: (أ ن ف).

2- ابن فارس (أبو الحسين بن زكريا، ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1979م، ج1، ص146، مادة: (أ ن ف).

3- محمد: 16.

ائتِنافا(...)واستأنفت الشّيء إذا ابتدأته(...) واستأنفه بوعد: ابتدأه من غير أن يسأله إياه؛ أنشد ثعلب:

وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا ** بوعــد، ولكن معتفاك جـديب**

أي لو كنت تعدينا الوصل[1]. فالاستئناف عنده: الابتداء والوصل.

أمّا سراقة بن مالك* فقد ذكر كلمة: آنفا – في ما رواه عن قصّة خروجه للمدينة، وطلب المشركين إيّاه ـ فقال: بينما أنا جالس أقبل رجل فقال: إنّي رأيت آنفا أسْوِدَةً** بالسّاحل أراهم محمدا وأصحابه. قال: فقلت: ليسوا بهم، لكنك رأيت فلانا وفلانا و فلانا، انطلقوا بغيانا"[2]. واستعمل كلمة آنفا ههنا للدّلالة على الوقت السّابق القريب، والائتناف الابتداء[3].

من خلال النّظر في كلّ ما سُرد من تعاريف لغويّة نلحظ أنّها تتّجه بمعنى الاستئناف إلى منحا واحد، وهو أول الشّيء، و الابتداء، والائتناف.

2 ـ في الاصطلاح: يختلف مفهوم مصطلح الاستئناف باختلاف العلوم وتوجهات أصحابها، فنجده عند النحاة يندرج ضمن باب الجمل التي لا محل لها من الإعراب. فيوردونه حين حديثهم عن الجملة الابتدائية. فالجملة الاستئنافية عندهم هي الابتدائية.

1- ينظر: ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ت711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، دط، دت، 14/9-15.

*- سراقة بن مالك بن جُعْشُم: بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مُرّة بن عبد مناة ابن كنانة. سيّد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة. ومات في 24هـ، في صدر خلافة عثمان. ينظر: www.sahaba.rasoolona.com.

**- أسْوِدَة: جمع سواد وهو الشخص. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 225/3.

2- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت 538هـ)، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1993م، ص61.

3- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 14/9-15.

يقول المرادي في كتابه: رسالة في جمل الإعراب في معرض تعداده للجمل التي لا محل لها من الإعراب:" فأمّا الابتدائية: فلا محل لها إجماعا، وهي ثلاثة أقسام: مبتدأة لفظا نحو: "زيدٌ قائمٌ". ومبتدأة نية، نحو: "راكبا جاءَ زيدٌ"؛ لأن الجملة في نية التقديم والحال في نية التأخير. ومبتدأة حكما، وهي الواقعة بعد أدوات الابتداء"[1]. فالجملة الاستئنافية عنده هي الابتدائية، سواء تصدّرها مبتدأ أو ما حقّه التأخير أو ابتداؤها بإحدى أدوات الابتداء*.

أما ابن هشام الذي اكتملت عنده صورة باب إعراب الجمل، فقد قال في مغنيه، مبيّنا الجمل التي لا محا لها من الإعراب: "الابتدائية وتسمى أيضا المستأنفة، وهو أوضح؛ لأن الجملة الابتدائية تطلق أيضا الجملة المصدّرة بالمبتدأ، ولو كان لها محل"[2].

أما الاستئناف عند علماء القراءات والوقف والابتداء فيقصد به المعنى نفسه الذي قصده النحاة، ولا غريب في ذلك، فلا يخفى عنّا أنّه واجب عليهم محتّم -أي علماء القراءات- قبل الخوض في مضماره أن يعلموا أغوار الصناعات والفنون، وأهمّها على الإطلاق علم النحو.

يقول أبو الخير محمد، الشهير بابن الجزري: "والوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة"[3]؛ أي بداية القراءة من جديد وقطعها عمّا قبلها.

1- المرادي (بدر الدين الحسن بن قاسم، ت 749هـ) ، رسالة في جمل الإعراب، تح: سهير محمد خليفة، دن، ط1، 1987م، ص106.

*- وهي: إن وأخواتها إذا كفّت بـ(ما)، إذا الفجائية، وهل، وبل، ولكن، وإلاّ الاستفتاحية، وأما أختها، وما النافية غير الحجازية، وبينما، وحتى الابتدائية. ينظر: المرادي، رسالة في جمل الإعراب، 106.

2- ابن هشام الأنصاري (جمال الديّن عبد الله بن يوسف، ت 761هـ)، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، 17/2.

3- ابن الجزري (الحافظ أبي الخير محمد، ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار العتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، 240/1.

ويضيف حين تعليقه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1]، أنّ الوقف على (والموتى) يقتضي أن يشارك الموتى مع الذين يسمعون في فعل الاستجابة، وهذا مفسد للمعنى؛ لأن معنى الآية هو أنّ الله أخبر عنهم أنّهم يبعثون مستأنفا بهم[2].

ويقول الدوسري أن الاستئناف هو معاودة القراءة بعد الوقف، وقدّموا الوقف على الابتداء؛ لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، وفي الابتداء الناشئ عن الوقف وهو يستأنف بعده، لذلك يطلق على الابتداء: الاستئناف[3].

فواضح من هنا أنّ مفهوم الاستئناف عند علماء الوقف والابتداء يرتكز على الانقطاع عمّا قبله، وهذا ما ذهب إليه النحاة من قبلهم.

أما مصطلح الاستئناف عن البلاغيين أو البيانيين فهو محور الحديث في هذا البحث، وسيأتي تفصيله لاحقا.

1- الأنعام: 36.

2- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 229/1.

3- بنظر: الدوسري (ابراهيم بن سعيد، ت 429هـ)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، ص11

المطلب الثّاني: أنواع الاستئنـــاف:

ينقسم الاستئناف إلى قسمين على حسب نوع الصناعة التي تناولته إلى: استئناف نحوي عند علماء النحو، وبياني عند علماء البلاغة والبيان. فما العلاقة بينهما يا ترى؟.

قال الدسوقي مبينا معنى الجملة الاستئنافية عند النحويين: "وأما النحاة فقالوا: هي المنقطعة عمّا قبلها... "[1]، فواضح كم قوله أنّه اشترط فيها الانقطاع.

أما على أبو المكارم فيقول أن الجملة المستأنفة نحويا "هي الجملة التي يستأنف بها المتكلم حديثا ليس متصلا من الناحية اللفظية بما قبله، سواء كان ثمة اتصال من حيث المعنى أو انقطاع"[2]، فأبو المكارم هنا يشترط الانقطاع أيضا دون مراعاة اتّصال أو انفصال المعنى.

بينما ابن هشام فنجده قد نوّه إلى أنواع الجملة المستأنفة نحويا فقال: الجملة المستأنفة نوعان: أحدهما: الجملة المفتتح بها النّطق، كفواتح السّور القرآنية، كقول الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[3]. وقوله أيضا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[4].

1- الدسوقي(محمد بن عرفة، ت 1230ه)، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام، تح: إبراهيم عبد الغفار الدسوقي، دار الطباعة العامرة، القاهرة-مصر، ط1، 1301ه، 54/2.

2- علي ابو المكارم (ت 2015م)، مقومات الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2007م، ص167.

3- الفاتحة: 1-2.

4- الإسراء: 1.

أو كقولك: إنّ الانسان أحوج الخلائق إلى التّنقيب في أرجاء نفسه. وقولك أيضا: بين كل مئة مصلٍ أكثر من تسعين يقفون بين بيدي الله وهم شاردو الذّهن. وأيضا: على بركة الله تفتتح الجلسة... كل هذه الجمل وأخرى مستأنفة؛ لأنّ الكلام مبدوء بها. وثانيهما: الجملة المنقطعة عمّا قبلها*، كقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[1]. أو كقولك: مات فلان، رحمه الله[2]، فجملة ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ تعني أنّ الله جعل له فيها مكنة واعتلاء، وجعل له طريقا موصلا إليه[3]، إلّا أنها تبقى منقطعة من حيث المعنى عن جملة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ﴾ التي يراد بها وسيسألك اليهود عن ذي القرنين؛ أي الاسكندر الذي ملك الدّنيا وكان صالحا، وأوتي الملك والحكمة[4]،

كما أنها منقطعة عنها صناعيا. على خلاف جملة (رحمه الله) فهي منقطعة صناعيا –أي لفظا– عن جملة (مات فلان) لعدم وجود أداة وصل، لكنّها مرتبطة بها من حيث المعنى؛ لأن الموت مربوط بالدعاء والترحّم، نلاحظ أنّ جملة (مات فلان) فعلية خبرية مكوّنة من فعل وفاعل، وجملة (رحمه الله) انشائية.

*– المراد بانقطاعها عمّا قبلها عدم تعلّقها بها تعلّقا صناعيا باتباع أو إخبار أو حالية، سواء كان هناك انقطاع في المعنى أو في اللفظ فقط، ينظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام، 54/2.

1– الكهف: 83–84.

2– ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، 17/2.

3– محمّد كريم راجح (ت 1433هـ)، أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط3، 1983م، ص 251

4– ينظر: المرجع نفسه، ص251.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾[1] فجملة ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ معناها الثّبات على اليهودية، والجملة الاستئنافية ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ فيها رد للإسلام ودفع له منهم؛ لأن المستهزئ بالشيء المستخفّ به منكر له، ودافع له لكونه غير معتد به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته[2] والتقدير فيها أن تقول الشياطين للذين كفروا: ما خطبكم تقولون أنّكم معنا وتتّبعون محمد-صلى الله عليه وسّلم-؟. وجملة ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ منقطعة لفظا عمّا قبلها- ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ﴾- ومنقطعة معنويا. وقال عز وجل أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢﴾[3]، فجملة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ جملة استئنافية منقطعة معنويا عن سابقتها، مع وجود واو الاستئناف، وهذا النوع من الاستئناف يسمّى عند العلمـاء استئنـاف نحوي. والأمثلة عنه في كلام العرب نثره وشعره كثيرة، وكذلك أكثر أبلغ منها نجده في القرآن الكريم متناثرا بين الآيات. وقال الله تعالى أيضا في كتابه العزيز: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾[4].

1- البقرة: 14.

3- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص121.

3- الأنعام: 2.

4- الأنفال: 50.

يقول السّمين الحلبي في تفسيره لهذه الآية: "... وفيها تخريجان: أظهرهما –لموافقة قراءة من تقدّم– أن الفاعل ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وإنّما ذكر للفصل؛ لأنّ التأنيث مجازي. والثاني: أنّ الفاعل ضمير الله تعالى لتقدّم ذكره، و ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿يَضۡرِبُونَ﴾ خبره، وفي هذه الجملة حينئذ وجهان: أحدهما أنها حال من المفعول، والثاني أنها مستأنفة، جوابا لسؤال مقدر"[1]. وعلى حسب هذا تكون جملة ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ منقطعة عمّا سبقها صناعة ومعنى.

من كل ما سبق يتّضح أن الاستئناف النحوي مرهون بالانقطاع، الذي يمكن أن يكون صناعيا أم معنويا أو صناعيا ومعنويا معا، فهو مبني على استقلال وانفصال في الكلام.

أما الاستئناف عند البيانيين أو البلاغيين فلقد بيّن معناه الإمام ابن هشام الأنصاري حيث قال: "ويخصّ البيانيون الاستئناف بما كان جوابا لسؤال مقدّر نحو قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾[2] فإنّ جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدّر تقديره: فماذا قال لهم؟، ولهذا فصلت عن الأولى ولم تعطف عليها"[3]؛ أي هو ما اشترط فيه وجود جملتين فصلت ثانيهما عن سابقتها ولم تعطف عليها، مع اشتمالها لجواب عن سؤال محذوف يتمّ تقديره، ويسمى عندهم –

1- السمين الحلبي (أحمد بن يوسف، ت 756هـ)، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دب، دط، دت، ص618-619.

2- الذّاريات: 24-25.

3- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، 17/2.

أي البيانيين- استئنافا بيانيا. وفي هذا يمكن القول أنّ جملة الاستئناف البياني ليست منفصلة عمّا قبلها بل هي بيان وتوضيح لها، لذا سمّيت مستأنفة بيانيا.

يقول الشّاعر حاتم الطائي:

يَرَي البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً ** إنّ الكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلا**

في هذا البيت جاء جملة (**إنّ الكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلا**) مفصولة غير معطوفة عن الجملة التي سبقتها (**يَرَي البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً**) فالأولى فعلية والثانية اسمية، والنّاظر فيها يلحظ أنّها تحوي في طيّاتها جوابا عن سؤال محذوف تقديره: إذا كانت هذه رؤية البخيل لسبيل المال، فكيف يرى الكريم سُبُله؟ فيجيب الشّاعر: (**إنّ الكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلا**)، فكأنّ شخصا حين سماعه للجملة الأولى تبادر إلى ذهنه سؤال فأخرجه هذا المخرج.

ويتّضح هذا جليّا في كتاب مفتاح العلوم للسّكاكي الذي ساق مفهوما للاستئناف البياني أثناء حديثه عن الحالات المقتضية للقطع فقال: "أن يكون الكلام السّابق بفحواه كالمورد للسّؤال، فتنزل ذلك منزلة الواقع، ويطلب بهذا الثّاني وقوعه جوابا له، فيقطع عن الكلام السّابق لذلك"[1]، ويقصد بالكلام السّابق ما وقع من الكلام أولا، أمّا قوله أن يكون بفحواه كالمورد للسّؤال فيراد به أن يشتمل ذلك الكلام على سؤال ضمني محذوف يتوجّب تقديره؛ أي إظهاره وكأنه موجودة فعليا على مستوى التركيب.

1- السّكاكي، مفتاح العلوم، ص252.

ويضيف الإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني في دلائله: "واعلم أنّ الذي تراه في التّنزيل من لفظ(قال) مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم"[1] واستشهد لذلك بآي من الذّكر الحكيم بقول فيها الرّحمن الرّحيم: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾[2]، وعن هذه الآية قال شارحا: "جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السّؤال فلمّا كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا: فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا. أخرج الكلام ذلك المخرج لأنّ الناس خوطبوا بما يتعارفونه..."[3].

أمّا فقيه المفسّرين ومفسّر المحدثين الإمام ابن كثير في تفسيره العظيم فقد قال في معرض تفسيره لسورة الذّاريات: "وقوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ الرّفع أقوى وأثبت من النصب، فردّه أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾[4]فالخليل اختار الأفضل"[5]؛ فسلامٌ بالضّم كانت أفضل من سلامًا بالفتح؛ فهي دالة على حالة الاستقرار التي كان فيها إبراهيم عليه السّلام فكان الرّفع أنسب، فالضّمة في عرف النحاة معروفة بقوتها عن باقي الحركات.

1- الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص246.

2- الذّاريات: 24-25.

3- الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص246.

4- النساء :86.

5- ابن كثير (عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل، ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: حكمت بن بشير، دار ابن الجزري، الدمام-المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ،34/7.

وفي نفس فكرة عبد القاهر الجرجاني سابقة الذّكر يقول ناظم الطّراز: "إذا وردت لفظة (قال) في التنزيل مجرّدة عن حرف العطف، فهو على تقرير سؤال [...] ومثال ما ورد مجرّدا عن العاطف قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾[1]؛ لأنّه لما قرّبه إليهم، كأنّ قائلا قال: فما قال لهم لما قرّبه؟ قال: ألا تأكلون"[2]. فلو جاءت لفظة القول مقرونة بعاطف لما حملت على تقدير السّؤال.

يقول عبد العزيز قلقية: الموضع الثاني من مواضع الفصل بين الجملتين المتجاورتين هو شبه كمال الاتصال بينهما: وهو يتحقق إذا كانت الجملة الثّانية جوابا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى، فتنزل منزلته فتفصل الثّانية عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال ويسمّى الفصل لذلك استئنافا..."[3]، ومنه يفهم أنّ من العلماء خاصة منهم المحدثون من يطلق تسمية: شبه كمال الاتصال.

وقال الأستاذ حسن عبّاس: "الاستئناف البياني: هو الذي تنقطع بسببه الصّلة الإعرابية بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها، دون الصّلة المعنوية بينهما، فكلتاهما مستقلّة بنفسها في الإعراب وحده، أمّا في المعنى فلا بد بينهما من ارتباط يجعل الثّانية –في الغالب– بمنزلة جواب عن سؤال ناشئ من معنى الأولى"[4].

1– الذّاريات: 27.

2– العلوي (يحي بن حمزة بن علي، ت 749هـ)، الطّراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ط1، 2002م، 29/1.

3– عبده عبد العزيز قلقية، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، ط3، 1992م، 254.

4– عبّاي حسن (ت 1949م)، النّحو الوافي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط3، 1974م، 390/4.

ويقول العاكوب –وهو أديب وشاعر ومترجم حاصل على الدكتوراه في النقد والبلاغة من جامعة دمشق– عن شبه كمال الاتصال: "... يكون ذلك حين تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى. ويجب الفصل هاهنا كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى الفصل في مثل هذه الحال (استئنافا)؛ لكون الجملة الثانية جوابا لسؤال اقتضته الأولى. ونسمّى الجملة الثّانية (استئنافا) و(مستأنفة)"[1]، ومن هاهنا يفهم أن الاستئناف البياني وشبه كمل الاتصال سيان.

وبعد هذه الجولة القصير التي حاولنا من خلالها التمييز بي نوعي الاستئناف –النحوي والبياني– يتّضح جليا أنّ الاستئناف النحوي يكون فيما انقطع لفظا ومعنى، وفيما انقطع لفظا لا معنى ومنه الاستئناف البياني؛ فالاستئناف النحوي أعمّ من الاستئناف البياني، وكل استئناف بياني هو بالضّرورة نحوي لا العكس.

ويصرّح الدسوقي بها حينما قال أنّ الاستئناف النحوي ما انقطعت تركيبه عمّا قبله سواء كان ذلك جوابا عن سؤال أم لا، فالاستئناف(أي النحوي) عندهم(أي النحاة) أعم من الاستئناف البياني[2].

ومما لا شك فيه أن انقسام الاستئناف إلى شطرين بارزين –نحويّ وبيانيّ– لا يعني اختلافهما وانفصال كل منهما عن الآخر كليا؛ فالاستئناف البياني ما هو إلاّ فرع من الاستئناف النحويّ.

1– عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني–البيان–البديع، دار الكتب الوطنية، بنغازي–ليبيا، ط1، 1993م، ص302–303.

2– ينظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام، 54/2.

فالبياني يرتكز على جملتين ينبثق من الأولى سؤال وتقع الثانية جواباً له؛ فشاكل ارتباط الثّانية بالأولى ارتباط الجواب بالسّؤال، وهو ارتباط يختلف عمّا هو الحال في الاستئناف النّحويّ، فالارتباط في هذا الأخير يكون لفظيا ظاهراً كما هو الحال في الاستئناف بوساطة الواو أو الفاء مثلا.

المبحث الثّاني: الاستئناف البياني في التّراث العربي:

1- سيبويه (ت 185هـ):

قرّرنا الانطلاق من هذه المحّطة؛ أي اللغوي سيبويه، كونه يعّد صاحب أوّل مؤلّف لغوي عربيّ واضح المعالم شامل –إلى حدّ ما– لعدة قضايا ومحاور في علوم العربية من نحو وصرف، بلاغة وعروض، تجويد وقراءات، وهو: الكتاب. المؤلّف الذي ذاع صيته في علم النحو دون غيره من العلوم ، الأمر الذي أدى إلى غفل العلماء والدّارسين عن البحث في ثناياه عن العديد من الجزئيات اللغوية، كما غفلوا عن الاستئناف البياني مثلا.

لذا ارتأى أنّه لزام عليه البحث فيه عن إشارات دالة عن الاستئناف البياني. وكما هو معلوم أنّ الاستئناف هو قطع للجملة إعرابيا عمّا قبلها، فلا تكون فيها كلمات تابعة لمعمولات في سابقتها، واستئناف جملة جديدة تكون بمثابة الجواب عن السّؤال المقدّر الناشئ عن غموض أو إبهام عارضين أو غيرهما، فتكون هذه الجملة الثّانية –المستأنفة بيانيا– على سبيل التفسير أو الإيضاح،

ولما كان الأمر كذلك رأى رئيس قسم البلاغة والنّقد في جامعة الأزهر –سابقا– الدكتور عبد القادر حسين، أنّ سيبويه طرق باب البلاغة عامة، وأصّل لأحدّ الوانها خاصة، وهذا اللون يندرج ضمن باب الفصل والوصل، أجل لقد أصّل للاستئناف بشقّه البلاغي البياني أو كما يسّمى: شبه كمال الاتصال. وعلى حدّ قوله طبيعي أنّ سيبويه لم يذكر هذا المصطلح البلاغي في عمومه أو خصوصه، فذلك شيء لم يعهده في زمانه، وإنّما عرف فيما بعد على يد الفرّاء، ولكن

الذي ذكره سيبويه هو ما يفيد شبه كمال، وإن لم يصرّح باسمه[1]، والدّليل على ذلك ما قاله سيبويه في باب سمّاه: باب بدل المعرفة من النّكرة والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة فقال: "أمّا بدل المعرفة من النّكرة فقولك: مررت برجلٍ عبد الله. كأنّه قيل له: بمن مررت؟ أو ظنّ أنّه يقال له ذلك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه"[2]، ولقد مثّل سيبويه لقوله هذا بشاهد من القرآن ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ ۝٥٣﴾[3].

وكذلك دلّل بقول المهلهل:

ولقد خبطن بيوت يشكر خبطة ** أخوالنا وهم بنو الأعمام**

كأنّه حين قال: خبطن بيوت يشكر قيل له: وماهم؟ فقال: أخوالنا وهم بنو الأعمام، وكذلك قال: نقول: مررت برجل الأسد شدّة، كأنّك قلت: مررت برجل كامل، لأنّك أردت أن ترفع شأنه. إن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟. وقد يكون مررت بعبد الله أخوك، كأنّه قيل له: من هو؟ أو من عبد الله، فقال: أخوك[4]، نلاحظ أنّ سيبويه "ضمّن الجملة الأولى سؤالا، واعتبر الجملة الثّانية جوابا لهذا السّؤال المقدّر، بل نلاحظ أنّه نصّ أيضا على أنّ الجملة الثانية استئناف، والذي نعرفه من كتب المتأخرين أنّ هذا من مواضع الفصل؛ لأنّ الجملة الثانية فصلت

1- ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة-مصر، دط، 1998م، ص97.

2- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر، ت185هـ)، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3، 1988م 14/2

3- الشورى: 52-53.

4- ينظر: سيبويه، الكتاب، 16/2-17.

عن الأولى كما يفصل الجواب عن السّؤال، ويسمّون هذا النّوع شبه كمال الاتصال أو يسمونه استئنافا"[1].

وكذلك نلمس تلميحا عن هذا الأسلوب البلاغي عنده حين حديثه عمّا لا يعمل في المعروف إلا مضمرا. فقال: "وإذا قيل عبد الله نعم الرّجل، فهو بمنزلة عبد الله ذهب أخوه؛ كأنه قال: نعم الرّجل، فقيل له: من هو؟ فقال: عبد الله. وإذا قال: عبد الله. فكأنّه قيل له ما شأنه؟ فقال نعم الرّجل"[2].

من كل ما سبق يتّضح أنّ سيبويه تحدّث عن الاستئناف الباني كمفهوم لا كمصطلح، ولقد سمّاه الابتداء والقطع.

1- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص97-98.
2- سيبويه، الكتاب، 2/176-177.

2- الفرّاء (ت 207هـ):

إنّ المتصفّح لكتب الفرّاء يستشف اهتمامه البالغ بمواطن الفصل والوصل عامة، وبالاستئناف البياني خاصة. ويظهر هذا الاهتمام أكثر في كتابه الشهير في تفسير آي القرآن الكريم، إنّه كتاب معاني القرآن.

لقد وردت كلمة الاستئناف في العديد من المواضع فيه فمثلا نجده يقول مفسرا الآية الرّابعة عشر من سورة التوبة: "وقوله: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥**﴾[1] ثمّ جزم ثلاثة أفاعيل بعده يجوز في كلهن النّصب والجزم والرّفع، ورفع قوله **(وَيَتُوبُ اللَّهُ)** لأنّ معناه ليس من شروط الجزاء إنما هو استئناف. وضرب مثالا لذلك بقوله: ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ۝٢٤**﴾[2] تمّ الجزاء هاهنا، ثمّ استأنف فقال: ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ**﴾[3].

ولقد علّق الفرّاء على قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ**

1- التوبة: 14-15

2- الشورى: 24

3- ينظر: الفرّاء (أبو زكريا يحي بن زياد، ت 207هـ)، معاني القرآن، تح: محمّد علي النّجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، ط1، 1955م، 426/1.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴿١٨﴾﴾[1] فقال مفسّرا مجيء (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) مرفوعة بقوله: "رفعن وأسماؤهن في أوّل الكلام منصوبة؛ لأنّ الكلام تمّ وانقضت به آية، ثمّ استؤنف **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)** في آية جديدة فكان أقوى للاستئناف، ولو تم الكلام ولم تكن آية لجاز الاستئناف"[2].

ويبرز الفهم العميق للاستئناف من قوله: "وقوله هاهنا: ويذبحون، وفي موضع آخر: يذبحون بغير واو. وفي موضع آخر يقتلون بغير واو. فمعنى الواو أنهم يمسّهم العذاب غير التذبيح كأنّه قال: يعذّبونكم بغير الذّبح وبالذّبح، ومعنى طرح الواو كأنّه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثّواب مجملا في كلمة ثمّ فسّرته فاجعله بغير الواو. وإذا كان أوّله غير آخره فبالواو"[3].

من كل هذا يتّضح أنّ الفرّاء تجسّدت في ذهنه فكرة الاستئناف وتحدّث عنه بكثرة، فكان يسمّيه أحيانا الاستئناف وأحيانا يسمّيه القطع.

1- البقر: 17-18.
2- الفرّاء، معاني القرآن، 16/1.
3- المرجع نفسه، 68/2-69.

3- المبرّد (ت 285هـ):

يعدّ من أبرز من ألّف في القرن الثّالث من اللغويين، إذ يعتبر كتابه المقتضب من أنفس الكتب النّحوية التي ألّفت في هذا العصر، وقد تعرّض للاستئناف بمعنييه: اللغوي والاصطلاحي.

فعلى سبيل المثال نجده يذكر الاستئناف قاصدا به المعنى اللغوي في قوله: "واعلم أنّ ألف الوصل تستأنف مكسورة"[1] وقوله أيضا: "واستؤنفت مضمومة، فنقول: استضعف زيد، وانطلق بعبد الله"[2].وهنا أراد الابتداء لغة.

أمّا النّصوص التي وردت في المقتضب وأراد بها صاحبها المعنى الاصطلاحي فنجد منها مثلا في باب: الفعل بعد (أنْ) وانقطاع الآخر من الأول: "فإن كان الثّاني خارجا عن معنى الأول كان مقطوعا مستأنفا، وذلك قولك: أريد أن تأتيني فتقعد عنّي؟ وأريد أن تكرم زيدا فتهينه؟ فالمعنى: أنّه لم يرد الإهانة، إنّما أراد الإكرام"[3]، فنلحظ أنه -المبرّد- قال في ما سبق: مقطوعا مستأنفا، وعنى بذلك نهاية الخبر الأول وبداية الخبر الثّاني، وانفصالهما عن بعضهما البعض.

والمبرّد يسمّي الاستئناف القطع بدليل قوله: "من يأتيني آته فأكرمْه كان الجزم الوجه، والرّفع جائز على القطع على قولك: فأنا أكرمُه"[4].

.نلاحظ من هذه النّصوص وأخرى أنّ المبرّد في مقتضبه ذكر لفظ الاستئناف، وكان يسمّيه أحيانا القطع.

1- المبرّد (أبي العبّاس محمّد بن يزيد، ت 285هـ)، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب-مصر، دط، 1994م، 87/2.

2- المرجع نفسه، 88/2.

3- المرجع نفسه، 32/2.

4- المرجع نفسه، 20/2

4- الزّمخشري (ت 538هـ):

لقد تناول الزّمخشري الاستئناف في تفسيره لآيات القرآن الكريم من جانبين أولهما: الجانب النّحوي، الذي يقوم على بيان محل الآيات من الإعراب. والثّاني: الجانب البلاغي، الذي يعنى بإظهار الجماليات البلاغية له، ولقد استفادة الزمخشري أيّما استفادة من سابقيه من أمثال عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز. ويبرز ذلك جليا من خلال استخدامه لكل ما كتبه في إعجازه من قواعد الفصل والوصل بين الجمل وطبّقها تطبيقا بديعا على آي الذكر الحكيم. وقد وصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدّل على تعمّقه وبعد غوره وفطنته في تصوير الدّلالة البلاغية وإحاطته بخواص العبارات، بل بأخصّ الخاص من مفرداتها وتراكيبها وما فيها من محاسن[1].

ودليل اهتمامه وفهمه العميق للاستئناف قوله: "فإن قلت: أيّ فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سَوْفَ تَعْلَمُونَ؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه"[2].

1- ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط9، دت، ص243.

2- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط3، 1407هـ، 124/2.

وفي تفسيره للآية من سورة البقرة قال: (أُولئِكَ عَلى هُدىً) الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محلّ لها. ونظم الكلام على الوجهين: أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب، فقد ذهبت به مذهب الاستئناف. وذلك أنه لما قيل: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) واختصّ المتقون بأنّ الكتاب لهم هدى، اتجه لسائل أن يسأل فيقول: ما بال المتقين مخصوصين بذلك؟ فوقع قوله: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدّر"[1].

ففي هذا الموضع ينصّ صراحة على ما يسمّيه البلاغيون المحدثون بشبه كمال الاتصال، ويضيف عن ذلك مفسّرا: "واعلم أنّ هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث، كقولك: قد أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان. وتارة بإعادة صفته، كقولك: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ، لانطوائها على بيان الموجب"[2]، وهو هنا يخص بقوله الحديث عن الاستئناف البياني، وهو عنده ما كان جوابا عن سؤال مقدّر ناهيك عن بيانه لأنواعه التي حسب قوله يمكن أن تكون:

- إمّا بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث.
- إمّا بإعادة صفته.

ولقد ساق العديد من الأمثلة عن الاستئناف، ولمن أراد الاطلاع عنها فليعد إلى تفسير الكشّاف لصاحبه الزمخشري.

1- الزّمخشري، الكشّاف، 43/1.
2- المرجع نفسه، 44/1.

المبحث الثالث: أضرب الاستئناف البياني وأغراضه:

المطلب الأول: أضرب الاستئناف البياني:

تتعدّد على حسب السّؤال الذي تتضمّنه الجملة الأولى، وهي ثلاث:

1- سؤال عن سبب الحكم فيها مطلقا[1]: وذلك يقع حين يكون السّامع جاهلا للسّبب أصلا. يقول الشاعر:

قال لي كيف أنت؟ قلت: عليل ** سهـر دائـم وحـزن طويـــل**

فجملة (قال لي كيف أنت؟ قلت: عليل)، تتضمن سؤالا تقديريا عن سبب الحكم المطلق فيها؛ أي لم تقول هذا؟ وما سبب علّتك؟، والسّؤال هنا عن السّبب العام لا الخاص؛ لأنه إذا قيل: فلان مريض، فالعادة تقتضي أن يُسأل عن سبب مرضه، فيُقال: ما سبب مرضه؟ ولا يُقال: هل سبب مرضه كذا أو كذا؟. لا سيما السّهر والحزن، فإنّه قلّ ما يقال: هل سبب علّته الحزن والسّهر؟؛ لأنّهما أبعد أسباب المرض[2]، وكون السامع جاهلا السّبب العام، فجواب سؤاله لا يأتي على هيئة الإثبات أو الإنكار، بل يكون تقريريا إخباريا.

قال أبو العلاء المعري:

وَقَدْ غَرِضْتُ* مِن الدّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي ** مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ** بَعْدُ مَا غَرِضَـا**

1- ينظر: الخطيب القزويني، التّلخيص في علوم البلاغة، ص48.

2- سعد الدّين التفتازاني، مختصر المعاني، منشورات دار الفكر، ط1، دب، 1411هـ، ص152.

*- غرضت: ضجرت. ينظر: ابن منظور، لساب العرب، 194/7.

**- الغرّ: الشخص الذي لم يجرب الأمور. ينظر: ابن منظور، لساب العرب، 16/5.

جَرّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَـــــت **** لِي التّجَارِبُ فِي وُدّ امرِئ غَرَضَـا

فصلت الجملة الفعلية الثانية -جَرّبْتُ- عن الأولى-غَرِضْتُ- ولم تعطف عليها؛ كونها جوابا عنها. فكأنّ سائلا يتقصّى سبب ضجر القائل من الحياة وتمنيه لأن تعطى حياته لشخص آخر غيره لم يملّ الحياة، فيجيبه الشّاعر بأنّ سبب غرضِه منها مردّ إلى أنّه قد جرّب الدّهر وأهله وحلوه ومرّه، فلم يبقى له فيه غرض[1].

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

فكأنّ سائلا استفسر عن سبب أمر الله جلّ وعلى لنبيه الأمين المصطفى بأن يخبر عباده المؤمنين أنّ ربّهم يأمرهم بأن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، فتتأتي تكملة الآية لتجيب عن هذا السّؤال الضمني وان ذاك خير لهم وأزكى وأطهر لهم.

وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[3].

وقال أيضا: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴿٢٥٦﴾﴾[4].

1- ينظر: شرف الدين الطيبي، ت743هـ التبيان في البيان، تح: عبد الستار حسين مبروك زموط، رسالة دكتوراه، اشراف كامل امام الخولي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، دط، 1977م، ص63. (مخطوط).

2- النّور: 30.

3- آل عمران: 181-182.

4- البقرة : 256.

2- سؤال عن سبب خاص للحكم فيها: وذلك يقع حين يكون السّامع متردّدا في ثبات السّبب الخاص.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[1]

فجملة ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ تتضمّن نفي البراءة عن النّفس، وحكم النّفي هذا يقتضي بالضّرورة تبادر سؤال إلى الذّهن مفاده: ما سبب عدم تبرئتك لنفسك؟، فتأتي الجملة الثّانية - ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ - كجواب عن هذا السّؤال الخاص[2]، وفي هذا الضّرب من الاستئناف يكون الجواب مؤكّدا ومثبتا، وفي هذه الآية الجواب مؤكّد بأداتين: إنّ و لام التوكيد. وهذا دليل على أنّ الحكم خاص، فلو كان مطلقا عاما لما احتيج للإثبات.

وهناك أمثلة عديدة عن هذا الضّرب من الاستئناف متناثرة بين آي القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قول تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾[3].

وقال في غير موضع: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ ١٧٦﴾[4].

1- يوسف: 53.
2- ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص48.
3- يوسف: 31.
4- آل عمران: 176.

وقال الرحمان: ﴿قَالُوٓاْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾[1].

وقال تعالى أيضا: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾[2].

وقال جلّ وعلى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٣٧﴾[3].

3- السؤال عن غير الحكم العام والخاص[4]: أي عن شيء آخر يقتضيه المقام:

قال مضرس ربعي:

وَقُلْنَ عَلَى الفِرْدَوْسِ أوّلَ مَشْـرَبٍ ** أَجَلْ جَيْر* إنْ كَانَت أُبِيحَت دَعَاثِرُهُ****

فصلت جملة (أجل جير) عن جملة (وقلن)؛ لأنها جواب عن سؤال متضمن في الأولى، "فكأنّ النسوة قالت: نريد أن نرد ماء بني تميم لنشرب أوّلًا، فهل سنستطيع فعل ذلك؟ فقيل لهن: نعم، ستفعلن إن سُمح لكنَّ بالاقتراب من أحواضها المتهدّمة بعد القتال"[5].

1- الأنبياء: 59.

2- يوسف: 51.

3- هود: 37.

4- ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص48.

*- جير: حرف جواب بمعنى طبعا. ينظر: ابن منظور، لساب العرب، 156/4.

**- الدعاثر: جمع دعثور وهو الحوض المتهدّم. ينظر: ابن منظور، لساب العرب، 287/4.

5- ابن يعيش(موفق الدين ابو البقاء يعيش، ت 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001م، 54/5.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٢٦﴾﴾[1]

ويتّضح هذا الضّرب أيضا في قول أبي الطّيب المتنبّي:

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاً ** عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِم وَساق**

"فإنّه لما نفي الفعل الموجود عن الرّياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل"[2]، فكأنّ سائلا سأل عن صاحب الفعل الحقيقي –أي من فام بهذا الفعل حقيقة– بعد نفيه عن الرياح في الجملة الأولى. ومن الاستئناف البيانيّ في هذا الضّرب أيضاً قولُ الشاعر:

زعم العواذلُ أنني في غمرة ** صدَقَوا ,ولكِنْ غمرتي لا تنجلي**

قال في هذا صاحب المفتاح: "لم يعطف صدقوا على زعم العواذل للاستئناف، وذلك حين أبدى الشكاية عن جماعات العذل بقوله: زعم العواذل أنني في غمرةٍ، فكان مما يحرّك السامع عادةً ليسألَ هل صدقوا في ذلك أم كذبوا؟ صار هذا السؤال مقتضى الحال، فبنى عليه للعطف على ما عليه أيراد الجواب عقيب السّؤال"[3]

ويقول اليزيدي:

مَلَّـــكْتُهُ حَـبْلِي وَلَـــكِنّهُ ** أَلْقَاهُ مِن زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي**

وَقَـالَ إنِّي فِي الهَوَى كَـذِبٌ ** انْتَقَـمَ الله مِن الكَـــاذِبِ**

1- المائدة: 26.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص126.:.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص263.

هذه الأبيات استشهد بها الجرجاني في دلائل إعجازه وحملها على الاستئناف، فقال: "استأنفت قوله: (انْتَقَـمَ الله مِن الكَـاذِبِ)، لأنّه جعل نفسه كأنّه يجيب سائلا قال له: فما تقول فيما اتّهمك به من أنّك كاذب؟ فقال أقول: (انتقم الله من الكاذب)"[1]، ففصلت ولم تعطف.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص158 .

المطلب الثّاني: أغراض الاستئناف البياني:

إنا المبدأ الأساس عند البلاغيين القدماء منهم والمحدثين، والذي تقوم عليه جل دراساتهم وأبحاثهم ومؤلّفاتهم وحتّى آراؤهم... هو مبدأ عقلي محض، مُفاده أنّ لكلّ مقام مقال، وهو عماد الدّرس العربي عامة والبلاغي البياني خاص.

فعالم النّحو ينتقي تراكيبه النحوية معتمدا على جملة من القواعد والمباني، وذلك على حسب ما أراده بها من المعاني. والخطيب يختار من قرآنه ولغة حور العين ما ارتأى أنّه يؤثّر به في قلوب السّامعين. كما النّاظم في نسيجه من شعر أو نثر يتوخّى المعاني وهو المقصود بالنّظم عند الإمام الجرجاني... كلّ هؤلاء وغيرهم يراعون في صنيعهم شيئا جوهريا ألا وهو الغرض أو المقصد.

وحريّ بالبيان أنّ هذه الأغراض والمقاصد تتنوّع بتنوّع أساليب طرحها والسياقات المولّدة لها، "وفي الحقيقة إنّ أغراض الجملة الاستئنافية بيانيا، وما يدور في فلكها من أسرار تمثّل صورة رائعة في إغناء ثقافة الدّارس لبلاغة العربية، وتفقّه أسرارها، وفيها إثراء للدّراسات النحوية إثراء عظيما؛ لما حفلت به من الطّرائف والفوائد، التي لا تظفر بها في كتب النّحو بيسر وسهولة"[1].

كما يجب التّنبيه إلى أنّ معظم آيات القرآن الكريم تتماشى والمناسبة الخاصة بها أو المقاصد الإلاهية منها، ومنه يمكن الجزم أنّه لا يتمكن لأيّ دارس إظهار أواصر القربى بين ما اتلف من أجزائه –القرآن الكريم–، وأنّه لن يقدر على الكشف عن تلك المقاصد ومدى تعدّدها، إلا بعد تدبّر وتدقيق في إعجاز نظمه، وتمحيص في كنهه.

1– أيمن عبد الرزّاق الشّوا، من أسرار الجمل الاستئنافية، دار الغوثاني للدّراسات القرآنية، دمشق–سوريا، ط1، 2009م.، ص56.

وعن هذا جاء البقّاعي مبيّنا في نظم درره إعجاز وارتباط آي القرآن بعضه ببعض فقال: "وبهذا يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللّب، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حدى بحسب التركيب. والثّاني: نظمها مع أختها بالنّظر إلى الترتيب"[1]، فعلى الرّغم من أنّ الإمام بهاء الدّين حدّد طريقتين للإعجاز في القرآن: ما تعلّق بكلّ جملة بوصفها وحدة لغوية واحدة مركّبة بحسب تركيب محدّد. وما تعلّق بنسيج جملي متسلسل منوط بترتيب معيّن، إلا أنّ هذا لا يعني أنّ القصد والغرض مرهون بطريقة دون الأخرى؛ فتركيب أجزاء كل جملة على حدى، أو ترتيبها وسط نسق جملي أكبر خاضع لأغراض معيّنة تحتّم عل النّاظم اتّباع ذك التركيب أو الترتيب دون غيره.

ويستأنف البقّاعي كلامه قائلا أنّ كلّ من سمع القرآن يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة ورهبة مع انبساط لا يحصل عند سماع غيره، وكلّما دقّق النّظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثمّ إذا عبّر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وتلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجملة متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد؛ فظنّ أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسّماع من الهزّ والبسط، وربّما شكّكه ذلك بكثير، وزلزل إيمانه، وزحزح يقينه[2].

1- ينظر: البقاعي(برهان الدّين أبي الحسين إبراهيم بن عمر، ت 885هـ)، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسوّر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، دط، 1984م، 11/1.

2- المرجع نفسه، 11/1.

ولقد أراد بهذا أن يقول أنّ الإنسان حين سماعه للقرآن الكريم تنتابه حالة شعورية، ويستشعر إعجازا فيه، إلا أنه عندما يحاول الكشف عن ذلك الإعجاز محاولا الكشف عمّا يربط بين كل جملة وسابقتها ولاحقتها يستعصي عليه ذلك، فيرى أنّها، متنافرة غير متقاربة الأغراض، وهذا ما قد يودي به إلى تأويل عي ذلك، ممّا قد يسوقه إلى الشك والرّهبة وضعف إيمانه.

ولقد أشار السّكاكي إلى الأغراض التي قد تخرج إليها جملة الاستئناف البياني فقال: "وتنزيل السّؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة؛ إما لتنبيه السّامع على موقعه، أو لإغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو تقدير السّؤال، وترك العاطف أو غير ذلك ممّا ينخرط في هذا السلك"[1].

ونظرا للأهمية البالغة التي حظيت بها هذا النّوع من الجمل، سعينا إلى الإلمام بجملة من الأغراض ها التي وجدناها متناثرة في الكتب، ويجب الإشارة هاهنا إلى أنّ هناك العديد من الأغراض التي لم يكن لها وفير الحظ لتندرج فيما سيأتي.

1- السّكاكي، مفتاح العلوم، ص253/252.

1- الاستئناف التعليلي:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴿٦٠﴾﴾[1]، هناك من قرأ (أَنَّهُمْ) بالكسر –﴿إِنَّهُمْ﴾ – فكانت جملة ﴿إِنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ استئنافية تعليلية وهي حواب لسؤال[2].

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴿٣٠﴾ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴿٣١﴾ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴿٣٢﴾إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴿٣٣﴾﴾[3]، "جملة ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ كأنه: ما له يعذّب هذا العذاب الشّديد؟ فأجيب بذلك"[4].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٦٥﴾﴾[5]، فقوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ "استئناف بمعنى التّعليل، كأنّه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: إنّ العزّة لله جميعا؛ أي إنّ الغلبة والقهر في ملك الله جميعا، لا يملك أحد شيئا منها، لا هم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم"[6].

1- المؤمنون: 60.

2- ينظر: أيمن عبد الرزّاق الشّوا، من أسرار الجمل الاستئنافية، ص68.

3- الحاقة: 30-33.

4- أيمن عبد الرزّاق الشّوا، من أسرار الجمل الاستئنافية، ص68.

5- يونس: 65.

6- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 357/2.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۝١٣﴾[1]، فالله عزّ وجلّ يخبر عباده المؤمنين أنّهم إذا ثبتوا على إيمانهم، وجاهدوا في سبيل الله، فسيدخلهم جنّات تجري تحت أشجارها أنهار، ويعدهم بمساكن طاهرة زكية، وأنّ لهم مغفرة وجزاء آجل إضافة إلى أنّه سبحانه وتعالى يعدهم بنعم أخرى عاجلة محبوبة إليهم، ثمّ فسّرها بقوله:(**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**)[2].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝٨٤﴾[3].

جاءت جملة ﴿**إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**﴾ استئنافية بيانية الغرض منها التعليل؛ لأنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حين أمره الله عزّ وجلّ بأن لا يستعجل بطلب العذاب للكافرين، نشأ في ذهنه سؤال، فكأنّه قال: لماذا لا أفعل ذلك يا ترى؟.

1- الصف: 10-13.

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 400/4.

3- مريم: 83-84.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[1]. وقال أيضا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴿٥٠﴾﴾[2].

جملة ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ استئناف جار مجرى التّعليل بعد استثناء إبليس من السّاجدين[3]؛ كأنّ قائلا قال: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن.

ومن أبر شواهد البلاغيين في الاستئناف التعليلي قول بشار بن برد:

بكرا صاحبي قبل الهجير ** إنّ ذاك النّجاح في التبكير**

1- البقرة: 34.

2- الكهف: 50.

3- ينظر: السّمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 507/7.

2- الاستئناف الجوابي:

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾[1]، شبيه بقوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦﴾[2]، ومثيلهما قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾[3]، الشواهد في هذه الآيات هي على الترتيب: (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)، (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)، (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) هي جمل استئناف بياني الغرض منها الجواب عن سؤال.

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾[4].

وقال الشّاعر السوري تيسير شيخ الأرض (ت2003م) في ديوانه: الحب والعلم والحكمة:

أيها الموتُ لي إليكَ ســـؤالُ ** حرْتُ فيه وحارتِ الأجيـال**

هل ترانا نعودُ مِنْ بعدِ موتٍ ** في حياةٍ أخـــرى بـها تَسآلُ**

أيها الحَبْرُ لـي إليك مقـــالُ ** فيه نورٌ وحكـــمـــةٌ وجلالُ**

بعد موتٍ نـعودُ حقاً ونحيـا ** ولعَمري بعد النـــشورِ سؤالُ**

1- النبأ: 1-2.
2- غافر: 16-17.
3- الطّارق: 1-3.
3- مريم: 86-87.

فجسّدت هذه الأبيات حوارية دارت بيت الحبْر –الشّاعر– وملك الموت، المشخص في مخيّلته، فصبغ ذلك الحوار بصبغة السّؤال المتبع بالجواب، فكان سّؤال الشّاعر عن احتمال وجود حياة بعد الممات. فأجابه: بعد موتٍ نعودُ حقاً ونحيـا، والموت هاهنا يقرّ بحقيقة مبثوثة منذ آلاف السّنين في كتاب الله االمعزّ المعين، وهي حقيقة البعث.

وهذا مثال آخر فيما قاله محمود درويش في مطلع قصيدة المعنونة بـ: ابدأ الصبار:

إلى أين تأخذني يــا أبــي؟

إلى جهة الريح يا ولدي... [1]

وهذا شاهد آخر على الاستئناف البياني الجابي من الحديث النّبوي الشّريف. "فعن عُمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ عَلَينا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيهِ أثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبي صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَى رُكْبتَيهِ، وَوَضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيهِ [...] قال: أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال :صدقت: قال فأخبرني عن الإحسان، قال :أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .قال :فأخبرني عن الساعة .قال :ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .قال :فأخبرني عن أماراتها .قال :أن تلد الأمة ربتها، وأن تري الحفاة العراة العالة رعاء

1– محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا، وزارة الثقافة، القدس–فلسطين، ط1، 1995م، ص32.

الشاء يتطاولون في البنيان-رواه مسلم-"[1]، جاءت جملة صدقت استئنافية بيانية، فكأنّ جبريل عليه السّلام فهم أنّ الحاضرين من الصّحابة قد تبادر في ذهنهم سؤال مفاده: هل صدق النّبي – صلّى الله عليه وسلّم- في جوابه؟ فلم يترك لهم المجال للشّك فقال: صدقت. ناهيك عن كل جمل قال الواردة في هذا الحديث فكلّها استئنافية بيانية.

قال الفيروز أبادي في بصائر التمييز: "جميع ما في القرآن من السّؤال وقع الجواب عنه بغير فاء، إلا في قوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴿١٠٥﴾﴾[2]، فإنّه بالفاء؛ لأنّ الأجوبة في الجميع كانت بعد السّؤال، وفي طه قبل السّؤال، فكأنه قيل: إن سئلت عن الجبال فقل"[3].

وبعد عملية بحث وإحصاء وصلنا إلى أنّ هناك اثنتا عشرة آية ذكرت فيها كلمة يسألونك وهي:

1- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴿١٨٩﴾﴾[4].

2- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٢١٥﴾﴾[5].

1- العثيمين، (محمد بن صالح بن محمد، ت 1421هـ)، شرح رياض الصالحين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: 1426هـ، 343/1.

2- طه: 105.

3- الفيروز أبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، ت 817هـ)، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمّد علي النّجّار، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، 153/1.

4- البقرة: 189.

5- البقرة: 215.

3- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴿٢١٧﴾﴾[1].

4- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴿٢١٩﴾﴾[2].

5- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴿٢٢٠﴾﴾[3].

6- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي ﴿٢٢٢﴾﴾[4].

7- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴿٤﴾﴾[5].

8- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴿١٨٧﴾﴾[6].

9- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿١﴾﴾[7].

10- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴿٨٥﴾﴾[8].

11- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴿٨٣﴾﴾[9].

12- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴿٤٢﴾﴾[10].

1- البقرة: 217.
2- البقرة: 219.
3- البقرة: 220.
4- البقرة: 222.
5- المائدة: 4.
6- الأعراف: 187.
7- الأنفال: 1.
8- الإسراء: 85.
9- الكهف: 83.
10- النازعات: 42.

3- الاستئناف البياني التفسيري:

قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨﴾[1]، فالشاهد في الآية :جملة ﴿بَنَاهَا﴾ جاءت بيانا وتفسيرا لكيفية خلقه إياها، وجملة ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ استئناف بياني ثان لبيان كيفية البناء[2].

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝٣١﴾[3]، دحاها: بسطها ومهّدها لسكنى أهلها وتقلّبهم في أقطارها، وأخرج منها ماءها: فجّر منها عيونا وأجرى أنهارا. والشّاهد هنا جملة ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾؛ لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له، فإنّ السكنى لا يتأتّى بمجرّد البسط والتمهيد، بل لابد من تسوية أمر المعاش من مأكل ومشرب[4].

ومثال آخر فيما قاله المتنبي في ديوانه:

فَتًى كالسَّحاب الجُون يُرْجى ويُتَّقى ** يُرْجَى الحيا منه وتُخْشَى الصَّواعق**[5]

فالمتنبي هاهنا تراه يفسّر في عجز بيته الشّعري ما كان غامضا مبهما في صدره.

1- النازعات: 27-28.

2- ينظر: الداني (سعيد بن عثمان ، ت 444هـ)، المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تح: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2،، 1987م، ص607.

3- النازعات: 30-31.

4- ينظر: أبي السّعود(محمّد بن محمّد العمادي، ت 951هـ)، تفسير أبي السّعود، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، دط، دت، 102/9. 102/9.

5- عبد الرّحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، دط، 1986م، 86/3.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴿٦٦﴾﴾[1] فإنّ قوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمّنته لفظة الأمر، وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السّامع بذكره مرّتين: مرة عن طريق الإجمال ومرة عن طريق التّفصيل والإيضاح[2].

ومن هذا النّوع من الاستئناف أيضا قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴿١٢٠﴾﴾[3].فجملة قال استئنافية تفسيرية لكيفية الوسوسة التي سلّطها إبليس على آدم.

قال الله تعالى أيضا: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿١٣٤﴾﴾[4]، قال الزّمخشري: "بالغ في تنبيههم على نعم الله؛ حيث أجملها ثم فصّلها مستشهدا بعلمهم، وذلك أنه أيقظهم من سنة غفلتهم عنها حين قال: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾، ثمّ عدّدها عليهم وعرّفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته"[5].

1- الحجر: 66.

2- عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ)، علم المعاني، دار النّهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2009م، 189/1.

3- طه: 120.

4- الشعراء: 132-134.

5- الزّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 326/3.

4- الاستئناف الإيضاحي:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1]، وعلى حسب قول الدكتور عبد الرّزّاق الشوّا فإنّ "في مصاحف أهل الشّام قوله(**مَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ**) بدون واو، على أنّها جملة استئنافية موضّحة للأولى"[2].

ومن الإيضاح التوشيح، "وهو أن يؤتى في عجز الكلام غالبا بمثنى مفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر"[3].

ومثال دلك قول النّبي -صلى الله عليه وسلّم-: " وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله.-رواه مسلم-"[4].

فكان الأمر مبهما غامضا قبل أن يوضّح النبي —صلّى الله عليه وسلّم- مراده بجملة استئنافية الغرض متها الإيضاح بقوله: كتاب الله.

ووقوله —صلى الله عليه وسلّم-: "يهرم ابن آدم وتشبّ منه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر.-رواه مسلم-"[5].

ومن الشّعر قول البحتري:

في حلّتي حبر وروض فالتقى ** وشيان: وشي ربي ووشي برود**

1- الأعراف: 43.

2- أيمن عبد الرزّاق الشّوا، من أسرار الجمل الاستئنافية، ص102.

3- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 189/1.

4- مسلم (ابن الحجّاج ألو الحسن القشيري، ت 261هـ)، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دط، دت، 686/2.

5- مسلم، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، 724/2.

وسـفرن فامتـلأت عيون راقها ** وردان: ورد جـنى وورد خدود**

ومتى يساعدنا الوصال ويومنا ** يــومان: يوم نوى ويوم صدود؟**[1]

وقد يأتي التوشيح جمعا لا مثنى وفي ابتداء الكلام كقول الشّاعر محمّد بن وهب:

ثلاثة تشرق الشّمس ببهجتها ** شمس الضّحا وأبو إسحاق والقمر**

عن أبي هريرة رضيّ الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذّاب، وعائل مستكبر.-رواه مسلم-"[2]. جاء كلامه مبهما غير واضح فاستأنف كلامه موضحا ذلك الإبهام بقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: شيخ زان، وملك كذّاب، وعائل مستكبر.

1- البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد، ت 280هـ)،ديوان البحتري، تح: حسنى كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، دت، 698/2.

2- مسلم، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، 102/1.

الفصل الثّاني

دراسة تطبيقية للاستئناف ليباني

في نماذج من القصص القرآني

المبحث الأوّل: حول القصص القرآني:

المطلب الأوّل: مفهوم القصة:

1- في اللغة: لا يبتعد معنى القص عن التتبع والتقصي، سواء تعلق الأمر بتتبع الأثر المادي، أو بتتابع أحداث القصة أثناء الحكي.

جاء في تاج العروس: " قص عليه الخبر قصصا، أعلمه به و أخبره، ومنه قص الرؤيا. قص أثره: أي تتبعه، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصا، وقول تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴿٦٤﴾﴾[1]؛ أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴿٣﴾﴾[2]؛ أي: نبين لك أحسن البيان، وقال بعضهم القصّ: البيان، والقصص الاسم، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها وألفاظها"[3].

وقيل: "القصص: رواية الخبر المقصوص والأثر، والقصاص: القاص للقصة التي تكتب والجملة من الكلام والحديث والأمر والخبر والشأن. وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال والواقع، أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي محدثة"[4].

1- الكهف: 64.

2- يوسف: 3.

3- الزبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، دت، 4/3، مادة: (ق ص ص).

4- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، 257/3.

إذن يمكن القول أنّ القصة مفردة، وجمع قصص، والقاص اسم فاعل وهو الذي يقوم بفعل القص. القصاص: صيغه مبالغة؛ أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصّة من جميع جوانبها، والإلمام بكافة أطرافها.

2- في الاصطلاح:

أما التعريف الاصطلاحي للقصص فتناولته كتب النقاد والأدباء واللغويين والمهتمين بمجال القصة خاصة، *ولقد قيل فيه الكثير* بإسهاب، وتفصيل.

يعرف أحمد الهاشمي صاحب جواهر الأدب القصص قائلا: "القصص: معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجار، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي والنفسي، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا"[1].

والقصّة بعبارة أخرى: سرد لأحداث لا يشترط فيه إتقان الحبكة، ولكنه ينسب إلى راو، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع لا الكشف عن خبايا النفس والبراعة في رسم الشخصيات .ويستعمل هذا المصطلح في الوقت الحاضر للدلالة على قصص المغامرات المثيرة بصفة خاصة[2].

1- الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، ت 1362هـ)، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الباحثين، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان، دط، دت، 22/2.

2- ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط2، 1984م، ص290.

أما ما يخص القصص القرآني فقد عرّفه عبد الكريم الخطيب بقوله: "هو كل ما حدّث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[1].

أمّا الدكتور مناع القطان فقال أنّ: "القصص القرآني به الإخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، فقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[2]

من كل ما سبق يمكن القول أنّ القصص حديث عن الأمم الماضية والنبوات السابقة ووصف أخبار السابقين وأعمالهم، يركز فيه على العبرة والموعظة، وهو الهدف الرئيس من سوق القصص القرآني

1- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظومه ومنطوقه، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1975 م، ص40.

2- مناع (القطان بن خليل، ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ط7، دت، ص300.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني:

لقد اختلف أهل العلم في تقسيمات القصص القرآني باعتبارات مختلفة، فمنهم من قسمه باعتبار طول وقصر القصة، ومنهم من قسمه باعتبار شخصياتها من أنبياء وغيرهم، ومنهم من قسمه باعتبار موضوعه وأشخاصه وأحداثه فمثلا نجد أنّ تقسيمها عند الدكتور مناع القطان قد كان إلى ثلاث أنواع:

1- قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف

المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم[1].

2- قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم: ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

3- قصص متعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة والهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك[2].

أما مريم السباعي فقسّمته إلى:

1- ينظر: القطان مناع ، مباحث في علوم القرآن، ص301

2- ينظر: المرجع نفسه، ص301.

1- قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضعٍ واحد، مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكانٍ واحد كقصة يوسف عليه السلام.

2- قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة[1].

أمّا الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي فقسم القصص القرآني كالآتي:

1- باعتبار طول وتوسط وقصر القصص: قال الخالدي: قصص القرآن كثير ومنوعة، شملت مختلف سوره وآياته، فمنها القصيرة مثل قصة إلياس مع قومه في سورة الصافات، ومنها متوسطة الطول مثل قصة سليمان مع النملة والهدهد وملكة سبأ، ومنها المطولة مثل قصة يوسف في موضع واحد وقصة موسى مع فرعون التي عرضت في كثير من سور القرآن الكريم[2].

2- باعتبار موضوعه وأشخاصه وأحداثه: لقد قسم الدكتور الخالدي هذا النّوع إلى قسمين: قصص الأنبياء والمرسلين، وقصص غير الأنبياء والمرسلين، كما قسم هذا النّوع الأخير إلى قسمين آخرين:

- قصص بني إسرائيل: مثل قصة البقرة وأصحاب السبت وقصة طالوت.

- قصص السابقين من غير بني إسرائيل: مثل قصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان[3].

1- ينظر: مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، أطروحة الدكتوراه، فرع الكتاب والسّنة، كلّية الشّريعة والدّراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السّعودية، 1404هـ، ص251.

2- ينظر: عبد الفتاح صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق-سوريا، ط5، 2007م، 11/1.

3- ينظر: المرجع نفسه، 11/1.

المطلب الثّالث: أهداف القصص القرآني:

إنّ أهداف القصّة القرآنية لا تنفصل عن أهداف القرآن الكريم عامة، وعن أهداف الدّعوة الإسلامية، وممّا هو جدير الإشارة إليه أنّ القصّة القرآنية الواحدة قد ترد في مواضع متعدّدة من القرآن لهد جديد أو عبرة جديدة أو لتثبيت الفكرة الواحدة بعرضها بعدة أساليب أو من عدة زوايا وذلك لأنّ تعدّد ذكرها يفيد تثبيت الأفكار وتحقيق الأهداف والغايات، وعن أهداف القصّة القرآنية يقول فضل حسن عبّاس:

1- الدّعوة إلى التّوحيد والإيمان بالبعث وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النّفوس وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا وبيان أن ملة الكفر واحدة وشبهاتهم واحدة على مر العصور.

2- تثبيت الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين من خلال عرض ما عاناه الأنبياء السّابقون وأتباعهم من أذى وتعذيب أقوامهم لهم، وكيف صبروا، وكيف كانت الغلبة للإيمان وما حلّ بأقوامهم من دمار وعذاب في الدّنيا[1].

3- ومن أهداف القصة القرآنية "دعوة النّاس إلى الإسلام بكلّ حقائقه وجوانبه، وذلكم أنّ الإسلام مفهوم معنوي لا يتحرّك وحده بل لا بد له من عملية فنية تعرف بعملية الدّعوة، وهي عملية متكاملة تحتاج إلى تكوين من يدعو مع تحديد منهج دعوته والأهداف التي يقصدها"[2].

1- ينظر: مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، ص44.

2- فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار النّفائس، الأردن، ط3، 2010م ص285.

4- الإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والتّوحيد والبعث في عقل وقلب المتلقّي، وذلك من خلال أحداث بعض القصص وما فيها من حوار هادف مقنع، كما أنّ تكرار هذا الإقناع وذلك التأثير بهذه الحقائق في قصص متعدّدة أو في قصّة واحدة تعرض بأكثر من قالب أو من أكثر من زاوية. وهذا يسهم في تمكين تلك الحقائق في القلب والوجدان.

5- الترغيب بالتأبيد في الدّنيا والنّعيم المقيم في الآخرة للمؤمن الطّائع، والتّرهيب من غضب الله وعذابه في الدّنيا والآخرة للجاحد العاصي، وذلك من خلال عرض أمثلة لتأبيد الله عباده المؤمنين وعقوبته للجاحدين في الدّنيا[1].

أما نحن في دراستنا هذه فلن نتّبع أيا من هذه الأقسام المذكورة، إنّما سنختار من القصص نماذجا تتلاءم ونوع الدّراسة؛ لأنّ أسلوب الاستئناف البياني ليس فيه الوفير في كلّ القصص بمختلف أقسامه.

ويجب الإشارة هاهنا أنّ هذا الموضع ليس بموضع التفصيل والتّفسير المطوّل لسور وآي القصص القرآني؛ لأنّ الحديث فيه يتطلّب مجلّدات عديدة. ونظرا لأنّ هذا المقام ليس غير مخصوص بالتّفسير بقدر ما هو مخصوص بإيراد نماذج من الذّكر الحكيم عامة ومن القصص القرآني خاصة، وبيان مواطن الاستئناف البياني فيها.

1- ينظر: مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، ص45.

المبحث الثّاني: تحليل نماذج من القصص القرآني:

النّموذج الأوّل: قصة إبراهيم عليه السّلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[1].

نلحظ أنّ سيّدنا إبراهيم –عليه السّلام– يسأل: كيف نحيي الموتى؟؛ أي أنّه يطلب الحال التي تقع عليها عملية الإحياء. فإبراهيم –عليه السّلام– لا يتكلّم في الإحياء، وإنّما كان شكّه –عليه السّلام– في أنّ الله سبحانه قد لا يستجيب لطلبه في أن يريه ويطلعه على كيفية ذلك[2]، فجاء جوابه جلّ وعلى عن سؤال إبراهيم على شكل استئناف بيانيّ؛ فالجملة الثّانية –﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**﴾ المكونة من قال: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وهمزة استفهام وواو عطف ولم الجازمة، وتؤمن: فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، وجملة تؤمن في محل نصب[3]– انقطعت إعرابا عن الأولى –﴿**قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى**﴾– فأجابه الله عن سؤاله بسؤال، فكأنّه جلّ وعلى قال له: أو لم تؤمن بقدرتي على الإحياء؟، سأله مع علمه بإيمانه

1– البقرة: 260.

2– الشعراوي (محمّد متولي، ت 1998م)، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، دب، دط، دت، 1139/2.

3– محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية–مصر، دط، دت، 473/1.

بذلك، فيجيبه بما سأل ليعلم السّامعون غرضه؛ أي لزيادة الاطمئنان[1]، فكل من جملة ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**﴾ وجملة ﴿**قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ وجملة ﴿**قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ**﴾ هي جمل استئنافية بيانية[2]، وهنا يبرز دور أسلوب الاستئناف البياني في نظم آي القرآن بعضه ببعض، وترابطه وانسجام معانيه.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾**﴾[3].

تحكي هذه الآيات قصة قدوم الملائكة إلى إبراهيم عليه السّلام بالبشرى فتصوروا له في هيئة بشر، فلمّا دخلوا عليه حيّوه بتحية، فكان تلك التحية ﴿**قَالُوا سَلَامًا**﴾ استئناف بياني "في موضع البيان للبشرى؛ لأن قولهم ذلك مبدأ البشرى، وإنّ ما اعترض بينهما حكاية أحوال، ولقد

1- ينظر: المحلّي (جلال الدّين، ت 864هـ)، السّيوطي (عبد الرحمان بن الكمال جلال الدّين، ت 913هـ)، المفصّل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2008م، 144/3.

2- ينظر: المرجع نفسه، 144/3.

3- هود: 69-73.

انتهى إليها بقوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾"[1]. والسّلام: التّحية، وسلامًا المنصوبة مفعول مطلق والتّقدير: سلّمنا سلاما،

وهنا يتبادر سؤال في أذهان الخلق مفاده: بماذا رد عليهم إبراهيم عليه السّلام؟ فجاءت جملة ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ استئنافية بيانية جوابية عن هذا السّؤال، وسلامٌ مصدر مرفوع على الخبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمري سلام، والرّفع أبلغ من النّصب؛ لأنّه أدل على الدّوام والثّبات، وبذلك كانت تحيّة إبراهيم عليه السلام أحس من تحيتهم[2]، فلو لم تكن هذه الجملة استئنافية وعطفت على سابقتها لكانت تحيّة سيّدنا إبراهيم من جنس تحية الملائكة.

وبعد ردّ السّلام ما لبث أن جاءهم إبراهيم بعجل حنيذ فلم يمدوا أيديهم إليه، فخاف من رد فعلهم؛ لأنّ المعروف في ذلك الوقت أن الضيف إذا لم يقرب القرى دلالة منه على إضمار الشّر لأهل البيت، "وجملة ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ استئنافية بيانية مفصولة عمّا قبلها؛ لأنّها أشبهت الجواب؛ لأنّه لما أوجس منهم خيفة ظهر أثرها على ملامحه، فكان ظهور أثرها بمنزلة قوله: إنّي خفت منكم، ولذلك أجابوا ما في نفسه بقولهم ﴿لَا تَخَفْ﴾ فحكيّ ذلك عنهم بالطّريقة التي تحكى بها المحاورات، أو هو جواب كلام مقدّر دّل عليه قوله: ﴿أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ أي وقال لهم: إنّي خفت منكم[3]. وجملة ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ استئنافية بيانية الغرض منها

1- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنّشر، تونس، دط، 1984م، 116/12.
2- ينظر: المرجع نفسه، 116/12.
3- ينظر: المرجع نفسه، 116/12.

تفسير ما جاء قبلها -﴿لَا تَخَفْ﴾- فكانت جوابا لسؤال تقديره: لماذا جاؤوا إذن؟، وبقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ نهوه عن شيء وقع في نفسه، وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم، كقوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴿١٣﴾﴾[1]. وبقولهم: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ تفسير لسبب نهيهم[2] الأمر الذي أزال خيفته.

وفي قولها: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ استئناف بياني يبيّن ردة فعلها حينما بشّرتها الملائكة بأنّها ستلد إسحاق ومن ورائه يعقوب، فكانت بقولها ذك تجيبا سائلا قال: ما كيف كان فعلها حين سماعها البشرى؟، وزادت تقرير التّعجب بجملة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهي جملة مؤكّدة لصيغة التّعجب فلذلك فصلت عن التي قبلها لكمال الاتصال، وكأنّها كانت متردّدة في أنّهم ملائكة فلم تطمئنّ لتحقيق بشراهم، وكل من جملة:﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ و﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ و﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ استئنافية بيانية، الأولى غرضها الجواب بالإنكار عن تعجّبها، والثّانية: غرضها تعليل إنكار التّعجّب، والثالثة: استئنافية غرضها تعليل توجّه رحمة الله إليهم[3].

قال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ

1- الانفطار : 12.

2- ينظر: أبو حيّان الأندلسي (محمّد بن يوسف، ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2010، 242/5-243.

3- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 121/12-122.

﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾[1].

يقول الإمام الطّبري: "قال أبو جعفر: يقول تعالى في ذكره مخبرًا عن قول رسله لإبراهيم: يا إبراهيم أعرض عن هذا، وذلك قولهم له حين جادلهم في قوم لوط، فقالوا: دع عنك الجدالَ في أمرهم والخصومة فيه؛ فإنه قد جاء أمر ربكَ (يقول: قد جاء أمر ربك بعذابهم. وحقَّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء) = وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، يقول: وإن قوم لوط، نازلٌ بهم عذابٌ من الله غير مدفُوع[2]، وجاء الجزء الثّاني من الآية: ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ جملة استئنافية بيانية تعلل سبب أمر إبراهيم عليه السّلام بأن يعرض عن الجدال في أمر قوم لوط والتماس الرّحمة لهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾[3].

هذه الآيات بجملتها فيها "وعيد للظالمين، وإيناس للمظلومين. وتتضمن قرارا حتميّا بأن الله مطّلع على أعمال الظالمين الكافرين، غير غافل عنها، وإنما هو يمهلهم ويؤخرّهم للحساب على أعمالهم في الوقت المناسب، وفي اليوم الحاسم"[4] وقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ استئناف بياني جاء كجواب عن قول قائل: حاشا لله أن يوصف بأنّه غافل

1- هود: 76.

2- الطبري (محمد بن يزيد، ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، 107/15.

3- إبراهيم: 42.

4- الزحيلي (وهبة بن مصطفى، ت 2015م)، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2001م، 205/2.

عنهم ولكن لما لم يحاسبه بعد؟.

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾[1].

تحدّثت سورة مريم عن قصّة إبراهيم عليه السّلام وذلك من الآية: 41 إلى الآية 51، حيث أشارت هذه الآيات إلى دعوته لأبيه، كي يتخلّى عن الكفر بالله، ويدخل في دينه، وتصف كيفية رفض أبيه لهذه الدّعوة[2]، فقال إبراهيم لأبيه: إنّي أخاف أن تموت على كفرك، فيلحق بك عذاب من الله عزّ وعلى، فتكون قريبا من الشّيطان قريبا في النّار، وبهذه الدّعوة أثار إبراهيم عليه السّلام سؤالا تقديره: ما كان ردّ أبيه عليه يا ترى؟ فجاءت تتمّة الآية: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، فكانت بذلك جوابا عن السّؤال المقدّر آنفا، وهي استئناف بياني جوابي من الضّرب الثّالث المذكورة في الفصل الأوّل[3]؛ أي السّؤال لا عن الحكم الخاص ولا العام في سابقتها، بل عن حكم آخر.

ثم قال أبو سيّدنا إبراهيم عليه السّلام: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.

وأخرج بن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال: لأشتمنّك.

1- مريم: 45-47.

2- ينظر: صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق-سوريا، الدّار الشّامية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م، 307/1.

3- ينظر: الفصل الأوّل، ص25.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ قال: حينا.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن أبي عبّاس في قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ قال: اجتنبني سالمت قبل أن تصيبك مني عقوبة[1]، وهذا القول ينشئ سؤالا ضمنيا تقديره: كيف كان ردّ إبراهيم عليه السّلام على قول أبيه آزر؟ فكان الجواب بالجملة المستأنفة بيانيا ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ موضحة لموقف إبراهيم من قول أبيه بعد طلب أبيه ذلك، وهذه الآية تحوي ثلاث جمل استئنافية متتالية وهي على التّوالي: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ استئناف بياني، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ استئناف نحوي، ومعناه: سأدعو الله تعالى أن يهديك، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ استئناف بياني غرضه تعليل لما بتضمّنه الوعد بالاستغفار من رجاء المغفرة استجابة لدعوة إبراهيم بأن يوفّق الله أباه للتّوحيد ونبذ الإشراك به[2]. وهذا من شدة إحسان إبراهيم عليه السّلم لأبيه آزر.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

1- ينظر: السّيوطي (عبد الرحمان بن الكمال جلال الدّين، ت 911هـ)، تفسير الدّر المنثور في التّفسير المأثور، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 2011م، 513/5-514.

2- ينظر: الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: لشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997م، 22/4.

الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٦٨﴾﴾[1]، لقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام أمة لتوفيته بمراتب العبودية لربه، وقد ابتلي إبراهيم في ببلاء شديد فصبر وصابر وجاهد فأفلح، وقد أقام الحجة على قومه عبدة الأوثان بأبرع أسلوب، وهو أسلوب المحاورة، أو المقاولة وهي إحدى طرق الاستئناف البياني وجعلهم يعلمون فساد أمرهم، لكن الكفر يعمي البصائر، فنكسوا وعاندوا وأبوا إلا الكفر والنار، وتحريق إمام الأبرار، وهيهات هيهات أن يغلبوا من كان الله عضده ونصيره.

ولقد شكّلت هذه الآيات نسيجا بديعا بليغا مبنيا على أسلوب المقاولة ولخّصت هذه الآيات في جدول يشمل الجمل الاستئنافية بيانيا المدرجة فيها مع تحديد السّؤال المقدّر لكل جملة.

1- الأنبياء: 52-68.

السؤال المقدّر لكل جملة	الجملة المستأنفة البيانية
1- ماذا كان جوابهم عن قول إبراهيم؟	1- ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾
2- هل اتّبعوه عندما أخبرهم بضلالهم؟	2- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾
3- أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ	3- ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾
4- لماذا ترك كبيرهم؟	4- ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
5- مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا	5- ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾
6- ماذا قالوا حين علموا ذلك؟	6- ﴿الُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾
7- فلمّا أتوا به ماذا قالوا له؟	7- ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾
8- ماذا كان جواب إبراهيم؟	8- ﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾
9- ماذا أخبروه عندما علموا بذلك؟	9- ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾
10- بماذا أجابهم إبراهيم؟	10- ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
11- هل اهتدوا إلى دين الله؟	11- ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾

نلاحظ أن هناك أحد عشرة جملة استئنافية بيانية مفصولة غير معطوفة عمّا قبلها، وجاءت كلها كجواب عن سؤال سابق لها ظاهر أو مقدّر يحتاج التّقدير. وفي ما يلي سرد لأحداث قصة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، قال إبراهيم: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها؟ قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو استئناف بياني جوابي عمّا لزم الاستفهام من السّؤال عمّا اقتضى عبادتها، فقال إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين لا يخفى على عاقل، فأجابوه بقولهم: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، وكان جوابهم على شكل استئناف بياني كأنهم لاستبعادهم تضليله إياهم ظنوا أن ما قاله إنما قاله على وجه الملاعبة، فقالوا: أصدقا ما تقوله؟، قال إبراهيم مجيبا عن سؤالهم مستأنفا معلّلا قوله السّابق: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه، وهن للسموات والأرض أو للتماثيل، وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم، فجعلهم جذاذا أي حطاما، إلا كبيرا لهم يعني إلا الصنم الكبير عندهم، وذكر أنه وضع القدوم في يد كبيرهم وهذا الفعل كالمورد للسّؤال؛ أي ما غرضه من ذلك؟ فجاء الجواب لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها،[1] فقالوا حين رجعوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله يقال له إبراهيم وغرضهم هنا جوابي. قالوا فأتوا به على أعين الناس بمرأى منهم وهو استئناف بياني الغرض منه تبيان ردة فعهم، فعندما جاؤوا به، ماذا فعلوا له؟ قالوا أأنت فعلت هذا

1- ينظر: ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ، 105/5.

هتنا يا إبراهيم؟. فقال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسهم وراجعوا عقولهم وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو استئناف آخر على إرادة القول. فكيف أجابهم حينئذ؟ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية. أفلا تعقلون قبح صنيعكم.؟ قالوا أخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة. حرقوه فإن النار أهول ما يعاقب به. وانصروا آلهتكم بالانتقام لها[1].

1- ينظر: البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي، ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ، 4/53-55.

النّموذج الثّاني: قصة يوسف عليه السّلام.

إنّ سورة يوسف تكفّلت بعرض قصّة يوسف كاملة، من بدليتها عندما الرؤيا وهو صغير، وأخبر أباه عنها، إلى نهايتها عندما تحققت رؤياه فعلا في أرض الواقع، "وهذا العرض الممتد الجامع لقصة يوسف، من شأنه أن يلفتنا إلى الإعجاز المبيّن في النّظم القرآني، ذلك الإعجاز الذي تتجلّى آياته فيها يستولي على قارئ القصّة أو المستمع إليها من روعة الجلال وسطوته، ومن يقظة الوجدان ونشوته، على امتداد العرض وتعدّد المشاهد، دون أن يفقد الشّعور ووحدته، ودون أن يجد المتلقّي لأحداث القصّة مجالا للتّحرّك خارج مسارها"[1].

ويجب الإشارة إلى أنّ هذه الدّقّة في الحبك والانسجام، وتعاقب للأحداث وتسلسها ماهي إلاّ نظم جملي مترابط متراص بعضه ببعض بإعجاز إلاهي منفرد في سبك، وما هذا النّظم إلا إعجاز بياني، وجمال بديعي، وتفنّن نحوي. يدخل ضمن هذه الأساليب وأخرى الاستئناف البياني وهو كما قيل سابقا أحد مواطن الفصل بين الجمل.

وظهر ذلك جليّا منذ بداية هذه القصّة في هذا الموضع —سورة يوسف– في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٥﴾[2] ففيها تجسيد لأوّل مشهد في القصّة؛ حيث كان الغلام

1- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، 396-397.

2- يوسف: 4-5.

يقصص رؤياه على أبيه يعقوب –عليهما السّلام– منتظرا منه تفسيرا لها. فكأنّه قال: يا أبي رأيت أحد عشر كوكبا من كواكب السماء، وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾؛ أي نزلوا من السماء وسجدوا له تحية وتعظيما. وسيظهر تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة حيث يجمع الله شمله بأبويه وإخوته الأحد عشر ويسجد الكل له تحية وتعظيما[1].

يقول صاحب التّحرير والتّنوير في تفسيره في معرض تفسيره لسورة يوسف عليه السّلام: "وجملة ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ مؤكدة لجملة ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، جيء بها على الاستعمال في حكاية المرائي الحلمية أن يعاد فعل الرّؤية تأكيدا لفظيا أو استئنافا بيانيا، كأنّ سامع الرّؤية يستزيد الرّائي أخبارا عمّا رأى"[2].

وعن نفس المقام يقول الزّمخشري في كشّافه: "فإن قلت: ما معنى تكرار ﴿رَأَيْتُ﴾؟ قلت: ليس بتكرار إنّما هو كلام مستأنف على تقرير سؤال وقع جوابا له كأنّ يعقوب عليه السّلام قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ كيف رأيتها؟ سائلا عن حال رؤيتها، فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾"[3]..

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٨ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ

1- أبو بكر الجزائري (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، ت 2018هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م، 594/2.

2- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 207/12.

3- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 504/12.

وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴿١٤﴾﴾[1].

بعد أن سمع يعقوب من ابنه رؤياه، بدأ يخصّه بعطفه ويوليه رعايته، ولم يكن ذلك خفيا على الإخوة، وهاهم يجلسون يبثّون الشّكوى، ويتشاورون في أكرهم، ولا يرضون ذلك من أبيهم، فخطّأوه، ولكن ماذا يفعلون لا بد أن يتخلّصوا منه، لكن كيف؟، ويبرز أحدهم لعلّه أكبرهم، يصدّهم عن قولهم: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾[2]، وهي جملة "مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأنّ الكلام المتقدّم يثير سؤالا في نفوس السّامعين عن غرض القائلين ممّا قالوه، فهذا المقصود للقائلين. وإنّما جعلوا له الكلام السّابق كالمقدّمة لتتأثّر نفوس السّمعين، فإذا ألقي إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال، وهذا فن في صناعة الخطابة أن يفتتح الخطيب كلامه بتهيئة نفوس السّامعين لتتأثّر بالغرض المطلوب"[3]. ثم يجيء قوله عزّ وجلّ: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ**

1- يوسف:8-14.

2- ينظر: فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص382.

3- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 222/12.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا أيضا، و"فصل جملة ﴿قَالَ قَائِلٌ﴾ جار على طريق المقاولات والمحاورات، كما في قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾"[1].

ومن قولهم ذاك بمكن الجزم أن يعقوب عليه السّلام لم يكن يسمح لابنه يوسف عليه السّلام، بالخروج، مع إخوته للرّعي وغيره، خوفا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم رغم أنّه لم يصرّح لهم بذلك، وأنّه لا يأمنهم عللا أخيهم، فواجهوا أباهم باستفهامهم الإنكاري لنفي الائتمان: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾، وهو استئناف بياني؛ لأنّ سوق القصّة يستدعي تساؤل السّامع عمّا جرى بعد إشارة أخيهم عليهم، وهل رجعوا عمّا بيّتوا وصمّموا على ما أشار به أخوهم"[2]. وجملة ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ استئنافية بيانية فصلت عن سابقتها، وهي جواب عن سؤال ناشئ في نفس يعقوب عليه السّلام بعد سماعه لإنكار ابنائه، الذي أثار ترقّبه لمعرفة ما يريدون منه ليوسف عليه السّلام.

وهنا يقول قائل: ماذا أجابهم يعقوب؟ وكيف كان تعليله لسبب عدم ائتمانهم عليه؟ فيقول في ذلاك جلّ جلاله: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، وهي أيضا جملة استئنافية بيانية تفسيرية تعليلية تظهر سبب امتناعه عن خروج يوسف عليه السّلام معهم إلى الريف، "فاعتذر إليهم بشيئين: أحدهما: أنّ

1- المرجع نفسه، 224/12.
2- المرجع نفسه، 224/12.

ذهابهم به ومفارقته إياه ممّا يحزنه؛ لأنّه كان لا يصبر عنه ساعة. والثّاني: خوفه عليه من عدو الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وأقلّ به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم، وقيل: رأى في النّوم أنّ الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذّره"[1].

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴿١٩﴾﴾[2].

هذا المشهد من القصة يحكي أنّ قافلة مرّت بقرب الجب الذي ألقي فيه يوسف عليه السّلام من قبل أخوته "فاحتاجت إلى الماء فأرسلوا من يأتيهم به، وما إن أدلى دلوه حتى تعلّق به يوسف عليه السّلام، وخرج من البئر"[3]، وهذا المشهد يضمر في طيّاته سؤالا تقديره: ماذا قال واردهم حين رأى يوسف عليه السّلام؟ فقيل: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾،

وفي مشهد آخر من القصة، يذهب بكم إلى مشهد مراودة زليخا ليوسف عليه السّلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴿٢٤﴾﴾[4].

1- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 506/12.

2- يوسف: 19.

3- علي محمّد علي دخيل، قصص القرآن الكريم، دار المرتضى، بيروت-لبنان، ط1، 2003م، ص105.

4- يوسف : 23-24.

فالمتتبع هاهنا للقصّة أو السّامع لها، يغمره الفضول الجيّاش إلى معرفة ماذا فعل يوسف عليه السّلام حين راودته امرأة العزيز لحبّها الشّديد له، فيجبه الله بقول: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ**﴾؛ أي أعوذ بالله واستجير به من الذي تدعينني إليه من خيانة سيّدي الذي أكرمني. ولقد فصلت ولم تعطف هذه الجملة على سابقتها لأنها مستأنفة استئنافا بيانيا جوابيا يزيل الغموض والشك الذي قد ينتاب من يقرأ هذه القصة.

وقوله: ﴿**إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**﴾؛ أي إنه تعالى خالقي أحسن مثواي بعطف قلب من أمرك بإكرامي، فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة؟ وهو استئناف بياني تعليلي لسبب المتناع، وفيه تحذير لها عن عقاب الله تعالى، وجوز على تقدير أن يكون الرب بمعنى الخالق كون الضمير للشأن أيضا، وأيا ما كان ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته إليه إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا[1].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ استئناف بياني تعليلي ثاني للامتناع المذكور، والفلاح الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي، وأخروي، فالأول الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز والثاني أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل وعلم بلا جهل[2].

1- ينظر: الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994م ، 404/6.

1- ينظر: المرجع نفسه، 6/

قال تعالى:﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1]. هذه الآيات تحكي مشهد قدوم إخوة يوسف إليه ومعهم أخوهم الصّغير بناء على طلب منه، وبعد أن اختلى يوسف بأخيه الصّغير وعرّفه على نفسه، وأخبره أن لا يخبر أحدا بذلك، ثمّ وضع صواع الملك في رحله، ثمّ فتّش رحل كلّ واحد من الأخوة، فوجد الصواع في رحل أخيه، فأخذه عبدا رفيقا، وقد حاول الإخوة استبدال أحدهم بالأخ الصّغير، لكن يوسف أبى ذلك. وفي مايلي ملخّص للجمل المستأنفة بيانيا الواردة في هذه الآيات المذكورة أعلاه:

1- يوسف: 70-79.

السؤال المقدّر لكل جملة	الجملة المستأنفة البيانية
1- كيف ردّ أبناء يعقوب عليه السّلام على المؤذّن؟	1- ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾
2- ماذا فقدوا وبماذا اتهموا؟	2- ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾
3- ماذا قالوا حين أتهموا بالسّرقة؟	3- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾
4- بماذا أجابوهم حينها؟	4- ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾
5- ما هو جزاء السّارق في عرفهم أبناء يعقوب عليه السّلام؟	5- ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾
6- ماذا قال الإخوة حين تبيّن أن السّقاية في رحِ أخيهم بنيامين؟	6- ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾
7- ماذا أسرّ يوسف عليه السّلام في قلبه ولم يظهره؟	7- ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾
8- ماذا طلب ابناء يعقوب عليه السّلام من يوسف عليه السّلام؟	8- ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾
9- ما سبب طلبهم هذا؟	9- ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
10- هل لبّى يوسف عليه السّلام طلب إخوته وكيف أجابهم؟	10- ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾
11- ما سبب رفض يوسف عليه السّلام لطلب إخوته؟	11- ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾

لما جهّزت قافلة ابناء يعقوب، وحمّلت إبلهم بالمؤن، أمر يوسف عماله بأن يضعوا الإناء الذي يكتال به في متاع أخيه الصّغير بنيامين، ولما هموا بالرّحيل نادى مناد عليهم واتّهمهم بأنّهم سارقون، وهنا يخطر في الذّهن سؤال: ماذا قال ركّاب العير للمنادي؟ فجاء الجواب: ﴿**قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ**﴾ استئناف بياني جواب لنداء المنادي إياهم إنكم لسارقون، ففصلت الجملة لأنها في طريقة المحاورة[1]. وهي في نفس الوقت كالمورد لسؤال مقدّر؛ "أي أنّ إخوة يوسف أقبلوا علة من يتّهمونهم بالسرقة متسائلين: ماذا فقدتم؟ وبمادا تتّهموننا؟"[2]. وهنا يقول الحقّ سبحانه ما قاله من اتّهموهم:﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**﴾ وهو استئناف بياني جواب عن السّؤال السّابق؛ أجابوهم بقولهم: لقد ضاعت سقاية الملك.

وقوله:﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾ أقسمو بالتّاء؛ لأنّها تكون للتّعجّب غالبا، وهو استئناف بياني غرضه بيان حال التّعجب من رميهم بذلك الأمر، فأقسموا على إثبات شيء قد علموه منهم، ثم استأنفوا الإخبار عن نفي صفة السّرقة عنهم[3]، وقول الفتيان مستأنفين: ﴿**فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ**﴾ إن كنتم كاذبين تحكيم، لأنهم لا يسعهم إلا أن يعينوا جزاء يؤخذون به، فهذا تحكيم المرء في ذنبه.ومعنى ﴿**فَمَا**

1- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 28/13.

2- الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7024/11.

3- ينظر: أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 327/5.

جَزَاؤُهُ﴾: ما عقابه. وضمير جزاؤه عائد إلى الصواع بتقدير مضاف دل عليه المقام، أي ما جزاء سارقه أو سرقته؟، ومعنى إن كنتم كاذبين إن تبين كذبكم بوجود الصواع في رحالكم[1]، فيجيب الإخوة عن هذا السّؤال بقولهم:﴿**قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ**﴾ وهي استئناف بياني أيضا. فجزاؤه الأول مبتدأ، ومن يجوز أن تكون شرطية وهي مبتدأ ثان وأن جملة وجد في رحله جملة الشرط وجملة فهو جزاؤه جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب، والجملة المركبة من الشرط وجوابه خبر عن المبتدأ الأول. ويجوز أن تكون من موصولة مبتدأ ثانيا، وجملة وجد في رحله صلة الموصول. والمعنى أن من وجد في رحله الصواع هو جزاء السرقة، أي ذاته هي جزاء السرقة، فالمعنى أن ذاته تكون عوضا عن هذه الجريمة، أي أن يصير رفيقا لصاحب الصواع ليتم معنى الجزاء بذات أخرى. وهذا معلوم من السياق إذ ليس المراد إتلاف ذات السارق لأن السرقة لا تبلغ عقوبتها حد القتل[2]. ثمّ قال لهم من وكّل بهم: لا بدّ من تفتيش أوعيّتكم، فبدأ يوسف بتفتيش أوعيّتهم قبل وعاء بنيامين، فاستخرجوه منهى[3]. وهنا يقول قائل ماذا قال إخوة بنيامين عندها؟ فيجاب: ﴿**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ**﴾ وهي جملة مستأنفة بيانيا مبدوأة بلفظ قال غير معطوف "واعلم أنّ الذي تراه في التّنزيل من لفظ(قال) مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم"[4] والغرض من قولهم هذا الادعاء "أن داء السّرقة في

1- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/13.
2- ينظر: المرجع نفسه، 30/13.
3- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 524/13.
4- الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص246.

بنيامين قد سبقه إليه شقيق له من قبل، وقالوا ذلك في مجال تبرئة أنفسهم، وهكذا وضحت ملامح العداوة منهم تجاه يوسف وأخيه"[1].

لقد قال أولاد يعقوب قولهم ذاك وهم جاهلون أنّ الذي رموا له بقولهم يكون يوسف أخوهم، ومن البديهي أن يوسف عليه السّلام قد غضب من قولهم إلاّ أنّه لم يبح ببنت شفة

ويكون قوله: ﴿**قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا**﴾ كلاما مستأنفا حكاية لما أجابهم به يوسف- عليه السلام- صراحة على طريقة حكاية المحاورة، وهو كلام موجه لا يقتضي تقرير ما نسبوه إلى أخي أخيهم، أي أنتم أشد شرا في حالتكم هذه لأن سرقتكم مشاهدة وأما سرقة أخي أخيكم فمجرد دعوى، فلم يبد لهم غضبا ولا عقابا كما تقدم مبالغة في كظم غيظه، فيكون في الكلام تقدير مضاف مناسب، أي لم يبد أثرها[2].

لما سمع يوسف هذه التهمة وجرى الدم اليعقوبي في عروقه، ووقف شعر رأسه، ولكنه كظم غضبه وصبر، وقال كلمة لم تتجاوز شفتيه بحيث أسرها يوسف في نفسه، شفى بها بعض غليله ولم يبدها لهم، بل جعلها بينه وبين ضميره، وهذا اضمار على شريطة التفسير، وتفسيره قوله: ﴿**أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا**﴾، وقد جاء قوله على صورة استئنالف بياني تعليلي[3]، والمتتبّع لهذه الأحداث حين يصل إلى هذا الموضع منها يقف محتارا متسائلا عمّا سيفعله ابناء يعقوب لكي يخلّصوا أخاهم من هذا المأزق، يجيئ قوله سبحانه: ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا**

1- الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7030/11.

2- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 30/13.

3- العلمي (عبد الله بن محمّد بن صلاح، ت 1936م)، مؤتمر تفسير سورة يوسف، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1961م، 1107/2.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ كجواب عن هذا السّؤال، ففصل ولم تعطف على سبيل الاستئناف البياني.

وجملة ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ استئناف بياني أخر، فكأنّ يوسف عليه السّلام قال حين سماعه لطلبهم ذاك: ماال: ما الذي جعلكم تطلبون مني هذا؟ وغرض قولهم "تعليل لإجابة المطلوب لا للطلب. والتقدير: فلا ترد سوءالنا لأنا نراك من المحسنين فمثلك لا يصدر منه ما يسوء أبا شيخا كبيرا"[1]، فماذا أجابهم يوسف عليه السّلام؟ قال على لسانه جلّ جلاله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾، وجملة ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ فإن ذلك لظلم إن فعلنا عظيم[2].

1- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 37/13.

2- أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، ت 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3،1419هـ، 180/7

النّموذج الثّالث: قصة نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢﴾[1].

افتتاح الكلام بالتوكيد للاهتمام بالخبر؛ إذ ليس المقام لرد إنكار منكر، ولا دفع شك عن متردد في هذا الكلام. وكثيرا ما يفتتح بلغاء العرب أول الكلام بحرف التوكيد لهذا الغرض، وأن أنذر قومك إلى آخره هو استئناف بياني تفسير لمضمون ما أرسل به نوح إلى قومه، فأن تفسيرية لأنها وقعت بعد أرسلنا. وفيه معنى القول دون حروفه. ومعنى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم أنه يخوفهم غضب الله تعالى عليهم إذ عبدوا الأصنام ولم يتقوا الله ولم يطيعوا ما جاءهم به رسوله، فأمره الله أن ينذرهم عذابا يأتيهم من الله ليكون إنذاره مقدما على حلول العذاب. وهذا يقتضي أنّه أمر[2]

لم تعطف جملة الاستئناف البياني ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ على جملة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾؛ لأنها في معنى البيان لجملة ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ لدلالتها على أنه أنذر قومه بما أمره الله أن يقوله لهم، وإنما أدمج فيه فعل قول نوح للدلالة على أنه أمر أن يقول فقال، تنبيها على مبادرة نوح لإنذار قومه في حين بلوغ الوحي إليه من الله بأن ينذر قومه[3]. وجملة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ استئناف بياني "حيث كان إرساله عليه السلام مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم كأنه قيل :فما قال لهم حين

1- نوح: 1-2.
2- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 186/29.
3- ينظر: المرجع نفسه، 187/29.

أرسل إليهم؟ فقيل :قال: يا قوم ناداهم بذلك استعطافا لهم"[1].

وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2].

أي: "واصنع السفينة بمرأى منا محفوظا منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالبا إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر"[3].

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء، وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة، فكانوا يتضاحكون ويقولون له :يا نوح، صرت نجارا بعد ما كنت نبيا[4].

وقيل: "لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون يقال في التفسير إنهم كانوا يقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي مرسل صار نجارا، فقال: إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون؛ أي نحن نستجهلكم كما تستجهلوننا، ثم أعلمهم بما يكون عاقبة"[5].

1- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 278/6.

2- هود: 37-38.

3- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ، 225/1.

4- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 393/2.

5- الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل، ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط1، 1988م، 50/3..

وقال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

"والسفينة تسير بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، وبعاطفة الأبوة نادى نوح عليه السلام ابنه الكافر، وكان منفردا عن أبيه وقومه في مكان"[2]، فقال: يا بني اركب معنا في السفينة؛ لتنجو من الغرق، ولا تكن مع الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالغرق.

وجملة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ استئناف بياني لجملة نادى وهي إرشاد له ورفق به وأما جملة ولا تكن مع الكافرين فهي معطوفة على جملة اركب معنا لإعلامه بأن إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار إذ لا يكون إعراضه عن الركوب إلا أثرا لتكذيبه بوقوع الطوفان. فقول نوح- عليه السلام- له اركب معنا كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير. وقد زاد ابنه دلالة على عدم تصديقه بالطوفان قوله متهكما سآوي إلى جبل يعصمني من الماء[3].

فماذا قال ابنه يا ترى؟ جواب هذا السّؤال جملة ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، وجملة ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ فصلت لوقوعهما في سياق

1- هود: 42-43.

2- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ، 262/1.

3- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 76/12.

المحاورة. وجملة يعصمني من الماء إما صفة لجبل، وإما استئناف بياني، لأنه استشعر أن نوحا عليه السلام يسأل لماذا يأوي إلى جبل إذ ابنه قد سمعه حين ينذر الناس بطوفان عظيم فظن الابن أن أرفع الجبال لا يبلغه الماء، وأن أباه ما أراد إلا بلوغ الماء إلى غالب المرتفعات دون الجبال الشامخات. ولذلك أجابه نوح- عليه السلام- بأنه لا عاصم اليوم من أمر الله، أي مأموره وهو الطوفان إلا من رحم[1].

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦﴾[2].

استئناف لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ناشئ عن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾؛ أي: لا تأس عليهم ولا يعظم عليك أنهم كذبوك فقد كذبت قوم نوح المرسلين وقد علم العرب رسالة نوح، وكذلك شأن أهل العقول الضالة أنهم يعرفون الأحوال وينسون أسبابها[3].قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١١٠ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝١١١ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝١١٣ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١١٤ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝١١٥ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ

1- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 77/12.

2- الشّعراء: 105-106.

3- ينظر: الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 156/19.

﴿الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾[1].

جملة ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ "استئناف بياني لما يثيره قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾من استشراف السامع لمعرفة ما دار بينهم وبين نوح من حوار، ولذلك حكيت مجادلتهم بطريقة :قالوا، وقال .والقائلون :هم كبراء القوم الذين تصدوا لمحاورة نوح"[2].

وقوله: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: وما علمي بأعمالهم. وهذا كما يقال في السؤال عن أحد: ماذا فعل فلان؟ أي ما خبره وما حاله؟[3] ومنه وجملة ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ استئناف في معنى التعليل[4]، أي لأن وصفي يصرفني عن موافقتك.

1- الشّعراء: 110-117.

2- الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 159/19.

3- ينظر: المرجع نفسه، 160/19.

4- ينظر: المرجع نفسه ، 162/19.

الخاتمة

في ختام هذه الجولة التي كانت في رحاب الذّكر الحكيم، ومعطّرة بآياته، نحمد الله الذي به تتمّ الصالحات على توفيقه لنا بإتمام هذه الدّراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ فمن أنفسنا، وهذه أهمّ النتائج المتوصّل إليها:

– الجملة الاستئنافية في عمومها هي ما افتتح بها النّطق، أو التي انقطع عمّا قبلها انقطاعا صناعيا، وهي عند المعربين لا محلّ لها من الإعراب، والمراد بالانقطاع هاهنا عدم التّعلق بإخبار أو إتباع أو حالية.

– الاستئناف النّحوي أعمّ من البياني، فكلّ استئناف بياني نحوي وليس العكس، كما أنّ الاستئناف البياني هو ما كان جوابا عن سؤال مقدّر ناشئ عن الجملة الأولى، منقطع عمّا قبله لفظا مرتبط به من حيث المعنى، ولقد أطلق عليه أيضا الائتناف، القطع، الابتداء. أمّا المحدثين فسموه شبه كما الاتصال.

– يعدّ سيبويه أوّل من أشار إلى فكرة الاستئناف البياني في مؤلّفه الكتاب، وذلك كان قبل حتى أن تستقر المصطلحات وتضبط مفاهيمها. فمعظم ما جاء في كتابه مبني على تقدير السّؤال، وهذا هو الاستئناف البياني بعينه.

– لم يعرف مصطلح الاستئناف البياني إلا بعد عبد القاهر الجرجاني، وسمّي بالبياني لارتباطه الوثيق بعلم البلاغة، لكن المطّلع على كتب القدامى يجد فيها تلميحات عن فكرة الاستئناف حتى وإن لم يسّموها هكذا، كسبويه والمبرّد والفرّاء والجاحظ وابن السّراج وغيرهم.

– بلاغة القول الإكثار من الجمل الاستئنافية، التي لا تحتاج إلى روابط نحوية تربطها بما سبقها، والاكتفاء والاعتماد على الربط المعنوي، لذا وجدنا القرآن الكريم فيه الكثير الكثير من الجمل المستأنفة بيانيا.

– على الرّغم من وصف النحاة لجملة الاستئناف البياني بأنّها جملة لا محلّ لها من الإعراب، إلاّ أنّ هذا لا ينفي احتمالها لمجموعة من المقاصد والأغراض التي يحدّدها السياق العام للجملة، ومن أغراضها: التفسير، التعليل، الجواب عن سؤال معين، الإنكار، التوضيح بعد الإبهام...

– كل ما ورد في القرآن الكريم من لفظ قال مفصولة غير معطوفة التّقدير فيه أنّ جملته استئنافية بيانية.

وأملنا بعد هذا أن نكون قد وفّقنا ولو بالقليل في هذه الدّراسة، راجين من المولى أن ينال عملنا من طرفكم القبول، وأن لا يحرم من توجيهاتكم.

الملاحق

1- ثبت الأبيات الشّعرية:

القائل	البيت الشّعري	الصّفحة
ثعلب	وأنت المنى لو كنت تستأنفيننا **** بوعـد، ولكن معتفاك جديب	13
حاتم الطائي	يَرَي البَخِيلُ سَبِيلَ المالِ وَاحِدَةً **** إنّ الكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلا	20
لمهلهل	ولقد خبطن بيوت يشكر خبطة **** أخوالنا وهم بنو الأعمام	26
مجهول القائل	قال لي كيف أنت؟ قلت: عليل **** سهر دائم وحزن طويـل	33
أبو العلاء المعري	وَقَدْ غَرِضْتُ مِن الدّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي **** مُعْطٍ حَيَاتِي لِعزٍّ بَعْدُ مَا غَرِضَـا جَرّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَـت **** لِي التّجَارِبُ فِي وُدّ امرِئ غَرَضَـا	33
مضرس رعي	وَقُلْنَ عَلَى الفِرْدَوْسِ أوّلَ مَشْـرَبٍ **** أَجَلْ جَيْر إنْ كَانَت أُبِيحَت دَعَاثِرُهْ	36
المتنبّي	وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاً **** عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِم وَساق	37
مجهول القائل	زعم العواذلُ أنني في غمرة **** صدَقوا ,ولكِنْ غمرتي لا تنجلي	37
اليزيدي	مَلَّـكْتُهُ حَـبْلِي وَلَـكِنّهُ **** أَلْقَاهُ مِن زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي وَقَالَ إنِّي فِي الهَوَى كَـذِبٌ **** انْتَقَـمَ اللهُ مِن الكَـاذِبِ	37
بشار بن برد	بكرا صاحبي قبل الهجير **** إنّ ذاك النّجاح في التبكير	44
تيسير شيخ الأرض	أيها الموتُ لي إليكَ سـؤالُ **** حرْتُ فيه وحارتِ الأحيـال هل ترانا نعودُ مِنْ بعدِ موتٍ **** في حياةٍ أخـرى بها تَسآلُ أيها الحَبْرُ لـي إليك مقـالُ **** فيه نورٌ وحكـمـةٌ وجلالُ بعد موتٍ نـعودُ حقاً ونحيـا **** ولعَمري بعد النـشورِ سؤالُ	45
المتنبي	فَيًّ كالسَّحاب الجُون يُرْجى ويُتَّقى **** يُرْجَى الحيا منه وتُخْشَى الصَّواعق	46

محمود درويش	إلى أين تأخذني يـا أبـي؟ إلى جهة الريح يا ولدي...	49
البحتري	في حلّتي حبر وروض فالتقى **** وشيان: وشي ربي ووشي برود وسفرن فامتلأت عيون راقها **** وردان: ورد جنى وورد خدود ومتى يساعدنا الوصال ويومنا **** يـومان: يوم نوى ويوم صدود	51
محمّد بن وهب	ثلاثة تشرق الشّمس ببهجتها **** شمس الضّحا وأبو إسحاق والقمر	52

2- ثبت الأحاديث النّوية:

الحديث النّبوي الشّريف	الدّرجة	الصّفحة
"يهرم ابن آدم وتشبّ منه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر".	صحيح	51
"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذّاب، وعائل مستكبر".	صحيح	51
"وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله".	صحيح	52
"بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَومٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَينا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبي صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَى رُكْبَتَيهِ، وَوَضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيهِ [...] قال: أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال :صدقت...".	صحيح	53

3- ثبت للآيات القرآنية:

السورة:	الآية:	الصّفحة
محمد	16	12
الأنعام	36	15
الفاتحة	2-1	16
الكهف	84-83	16
الإسراء	1	17
البقرة	14	18
الأنعام	2	18
الأنفال	50	18
الذّاريات	25-24	19
النساء	86	21
الذّاريات	27	22
الشورى	53-52	26

التوبة	15-14	28
الشورى	24	28
البقر	18-17	29
النّور	30	34
آل عمران	182-181	34
القرة	256	34
يوسف	53	35
يوسف	31	35
آل عمران	176	35
الأنبياء	59	36
يوسف	51	36
هود	37	36
المائدة	26	37
المؤمنون	60	42

الحاقة	33-30	42
يونس	65	42
الصف	13-10	43
مريم	84-83	43
البقرة	34	44
الكهف	50	44
النبأ	2	45
غافر	17-16	45
الطّارق	3-1	45
مريم	87-86	45
طه	105	47
البقرة	189	47
البقرة	215	47
البقرة	217	48

البقرة	219	48
البقرة	220	48
البقرة	222	48
المائدة	4	48
الأعراف	187	48
الأنفال	1	48
الإسراء	85	48
الكهف	83	48
النازعات	42	48
النازعات	28-27	49
النازعات	31-30	49
الحجر	66	50
طه	120	50
الشعراء	134-132	50

الأعراف	43	51
الكهف	64	54
يوسف	3	54
البقرة	260	61
هود	69-73	62
الانفطار	12	64
هود	76	65
إبراهيم	42	65
مريم	47-45	66
الأنبياء	68-52	68
يوسف	5-4	73
يوسف	14-8	75
يوسف	19	77
يوسف	24-23	78

يوسف	79-70	78
نوح	2-1	85
هود	38-37	86
هود	43-42	87
الشّعراء	106-105	88
الشّعراء	117-110	89

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الحديث الشريف: مسلم (ابن الحجّاج أبو الحسن القشيري، ت 261هـ)، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت.

– المعـــــاجم:

1. الدوسري (إبراهيم بن سعيد، ت 1429هـ)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
2. الجوهري (اسماعيل بن حمادة، ت393هـ)، الصّحاح تاج اللغة وصّحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط4، 1990م.
3. الزبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1، دت.
4. ابن فارس (أبو الحسين بن زكريا، ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1979م.
5. الفيروز أبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، ت 817هـ)، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمّد علي النّجّار، المكتبة العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت.

6. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ت711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، دط، دت.

– التّفـــــاسير:

1. الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1994م.
2. البقاعي (برهان الدّين أبي الحسين إبراهيم بن عمر، ت 885هـ)، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسوّر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة–مصر، دط، 1984م.
3. أبو بكر الجزائري (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، ت 2018هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م.
4. البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي، ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1418هـ.
5. الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: لشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1997م.
6. أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، ت 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

7. أبو حيّان الأندلسي (محمّد بن يوسف، ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط3، 2010م.
8. الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل، ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط1، 1988م.
9. الزحيلي (وهبة بن مصطفى، ت 2015م)، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1، 2001م.
10. الزمخشري (جار الله أبو اقاسم محمود، ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط3، 2009م.
11. أبي السّعود (محمّد بن محمّد العمادي، ت 951هـ)، تفسير أبي السّعود، دار إحياء التّراث العربي، بيروت–لبنان، دط، دت.
12. السّمين الحلبي (أحمد بن يوسف، ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد الخراط، ط1، دار القلم للنشر، دمشق–سوريا، 1989م.
13. السّيوطي (عبد الرحمان بن الكمال جلال الدّين، ت 911هـ)، تفسير الدّر المنثور في التّفسير المأثور، دار الفكر، بيروت–لبنان، دط، 2011م.
14. الشعراوي (محمّد متولي، ت 1998م)، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، دب، دط، دت.
15. الطّاهر بن عاشور (ت 1973م)، تفسير التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنّشر، تونس، دط، 1984م.
16. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
17. الفرّاء (أبو زكريا يحي بن زياد، ت 207هـ)، معاني القرآن، تح: محمّد علي النّجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، ط1، 1955م.

18. العلوي (يحي بن حمزة بن علي، ت 749هـ)، الطّراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ط1، 2002م.

19. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ.

20. المحلّي (جلال الدّين، ت 864هـ)، السّيوطي (عبد الرحمان بن الكمال جلال الدّين، ت 913هـ)، المفصّل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ط1، 2008م.

– الكتـــــــب:

1. أحمد أمين الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان والبديع، مؤسّسة النّشر الإسلامي، دب، ط1، دت.

2. أيمن عبد الرزّاق الشّوا، من أسرار الجمل الاستئنافية، دار الغوثاني للدّراسات القرآنية، دمشق–سوريا، ط1، 2009م.

3. البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد، ت 280هـ)،ديوان البحتري، تح: حسنى كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط3، دت.

4. الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن، ت 471هـ)، دلائل الاعجاز، تح: محمّد رضوان الدّاية، فايز الدّاية، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1، 2007م.

5. ابن الجزري (الحافظ أبي الخير محمد، ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار العتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت.

6. الخطيب القزويني (جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمان الشافعي، ت739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.

7. الخطيب القزويني (جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمان، ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة-مصر، ط1، 2016م.

8. الخطيب القزويني (جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمان الشافعي، ت739هـ)، التّلخيص في علوم البلاغة، شر: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2009م..

9. الداني (سعيد بن عثمان ، ت 444هـ)، المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تح: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2،، 1987م.

10. الدسوقي(محمد بن عرفة، ت 1230هـ)، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام، تح: إبراهيم عبد الغفار الدسوقي، دار الطباعة العامرة، القاهرة-مصر، ط1، 1301هـ.

11. الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت 538هـ)، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1993م.

12. التفتازاني (سعد الديّن، ت 791هـ)، مختصر المعاني، منشورات دار الفكر، ط1، دب، 1411هـ.

13. السفرجلاني (محمّد أمين بن محمّد بن خليل، ت 1916م)، القطوف الدّانية في العلوم الثّمانية، مطبعة ولاية سوريا، دمشق- سوريا، 1893م.

14. السّكاكي (سراج الملة والدين أبو يعقوب، ت 626هـ)، مفتاح العلوم، ضب: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م.

15. سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر، ت185هـ)، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3، 1988م.

16. شرف الدين الطيبي، ت743هـ التبيان في البيان، تح: عبد الستار حسين مبروك زموط، رسالة دكتوراه، اشراف كامل امام الخولي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، دط، 1977م. (مخطوط).

17. شوقي ضيف (ت 2005م)، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط9، دت.

18. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق-سوريا، الدّار الشّامية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م.

19. صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق-سوريا، ط5

20. عبّاي حسن(ت 1949م)، النّحو الوافي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، 1974م.

21. عبد الرّحمان البرقوقي(ت 1363هـ)، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، دط، 1986م.

22. عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ)، علم المعاني، دار النّهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2009م.

23. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النّهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2009م.

24. عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة-مصر، دط، 1998م.

25. عبد القاهر الجرجاني(ت4711هـ)، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2016م.

26. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2، 1975م.

27. عبده عبد العزيز قلقية، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، ط3، 1992م.

28. العثيمين، (محمد بن صالح بن محمد، ت 1421هـ)، شرح رياض الصالحين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: 1426هـ.

29. العلمي (عبد الله بن محمّد بن صلاح، ت 1936م)، مؤتمر تفسير سورة يوسف، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1، 1961م.

30. علي ابو المكارم (ت 2015م)، مقومات الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، ط1، 2007م.

31. علي الجارم (ت 1949م)، البلاغة الواضحة البيان. المعاني. البديع، دار المعارف، دب، دط، 1998م.

32. دخيل (علي محمّد علي، ت 1432هـ)، قصص القرآن الكريم، دار المرتضى، بيروت–لبنان، ط1، 2003م.

33. عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني–البيان–البديع، دار الكتب الوطنية، بنغازي–ليبيا، ط1، 1993م.

34. فضل حسن عباس(ت 2011م)، قصص القرآن الكريم، دار النّفائس، الأردن، ط3، 2010م.

35. المبرّد (أبي العبّاس محمّد بن يزيد، ت 285هـ)، المقتضب، نح: محمّد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب–مصر، دط، 1994م.

36. مجدي وهبة، كامل المهندس، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، ط2، 1984م.

37. محمّد كريم راجح(1344هـ)، أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 1983م.

38. محمود درويش(ت 2008م)، لماذا تركت الحصان وحيدا، وزارة الثقافة، القدس-فلسطين، ط1، 1995م.

39. محمود سليمان ياقوت (ت 2008م)، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية-مصر، دط، دت.

40. المرادي (بدر الدين الحسن بن قاسم، ت 749هـ) ، رسالة في جمل الإعراب، تح: سهير محمد خليفة، دن، ط1، 1987م.

41. القطان (مناع بن خليل، ت1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ط7، دت.

42. الميداني (عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، ت 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1996م.

43. الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، ت 1362هـ)، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الباحثين، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان، دط، دت.

44. ابن هشام الأنصاري (جمال الديّن عبد الله بن يوسف، ت 761هـ)، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1997م.

45. ابن يعيش (موفق الدين ابو البقاء يعيش، ت 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001م.

المذكرات:

1. مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، أطروحة الدكتوراه، فرع الكتاب والسّنة، كلّية الشّريعة والدّراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السّعودية، 1404هـ.

الفهرس

إهداء:	
شكر وعرفان:	
مقدِّمة:.....	أ-هـ
تمهيد:.....	5
الفصل الأوّل: الاستئناف البياني الماهية والمفهوم:.....	11-52
المبحث الأوّل: الاستئناف وأنواعه:.....	12
المطلب الأول: مفهوم اللاستئنـــاف:.....	12
1- في اللغة:.....	12
2- في الاصطلاح:.....	13
المطلب الثاني: أنواع الاستئنـــاف:.....	16
المبحث الثّاني: الاستئناف البياني في التّراث العربي.....	25
1- سيبويه:.....	28
2- الفرّاء:.....	30
3- المبرّد:.....	31
4- الزّمخشري:.....	33
المبحث الثالث: أضرب الاستئناف البياني وأغراضه:.....	33
المطلب الأول: أضرب الاستئناف البياني:.....	33
1- سؤال عن سبب الحكم فيها مطلقا:.....	36
2- سؤال عن سبب خاص للحكم فيها:.....	39
3- السؤال عن غير الحكم العام والخاص:.....	42
المطلب الثاني: أغراض الاستئنـــاف البياني:.....	42
1- الاستئناف التعليلي:.....	42
2- الاستئناف الجوابي:.....	45
3- الاستئناف البياني التفسيري:.....	49

4- الاستئناف الإيضاحي:.....	51
الفصل الثّاني: دراسة تطبيقية للاستئناف البياني في نماذج من القصص القرآني...	53-88
المبحث الأوّل: حول القصص القرآني:.....	54
المطلب الأول: مفهوم القصة:.....	54
1- في اللغة:.....	54
2- في الاصطلاح:.....	55
المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني:.....	57
المطلب الثّالث: أهداف القصص القرآني.....	59
المبحث الثّاني: تحليل نماذج من القصص القرآني:.....	61
قصة إبراهيم عليه السّلام:.....	61
قصة يوسف عليه السّلام:.....	72
قصة نوح عليه السلام:.....	84
الخاتمة:.....	89
الملاحق:.....	92
قائمة المصادر والمراجع:.....	101
الفهرس:.....	111
الملخّص:	

الملخص:

جاءت هذه الدّراسة بعنوان: الاستئناف البياني ودوره في توجيه المعاني نماذج من القصص القرآني، كمحاولة منّا لخدمة الدّرس اللغوي عامة، والبلاغي خاصة. ذلك لعدم وجود باب منفرد خاص للاستئناف البياني في علم البلاغة العربية. فكان هذا الموضع خاصا بالحديث عنه–الاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال–. فنجدهيندرج ضمن أهم أبواب علم المعاني أحد أفنان البلاغة العربية الثلاث وأهمها. وبما أنّه يهدّ نقطة التقاء بين علي النّحو والبلاغة كان لزاما علينا أن نتناول هذا الموضوع من منظور نحوي وبلاغي، فدعّم بدراسة تحليلية تفسيرية أسهمت فيها آيات الذّكر الحكيم بإيفاء كل فكرة وكل قاعدة حول حقيقة الاستئناف البياني ما خفي منه وما ظهر..

Summary:

This study came under the title: The graphic appeal and its role in directing meanings are examples of Quranic stories, as an attempt by us to serve the linguistic lesson in general, and the rhetorical lesson in particular. This is due to the absence of a separate chapter for the graphic appeal in Arabic rhetoric. This was a special place to talk about – the graphic appeal or the semi–completion of communication –. We find that it falls within the most important chapters of the science of meanings, one of the three arts of Arabic rhetoric and the most important of them. And since it threatens a point of convergence between grammar and rhetoric, it was necessary for us to address this topic from a grammatical and rhetorical perspective.